

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
الأمانة العامة
الشؤون العلمية

كتاب
أصول الأدلة
في ضوء الكتاب والسنة

إعداد
نخبة من علماء

ح) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أنساء النشر

أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة /إعداد نخبة من العلماء - المدينة المنورة .

٣١٢ ص، ٢٣٧١٦ م

ردمك : ٩٩٦٠-٨٤٧-١٥-٢

١- العقيدة الإسلامية ٢- الإيمان (الإسلام) ١٣ - العنوان

٢٠ / ٤٠١٠ ديني ٢٤٠

رقم الإيداع : ٤٠١٠ / ٢٠

ردمك: ٩٩٦٠-٨٤٧-١٥-٢:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا - أمّة الإسلام - خير أمّة، وبعث فيها رسولاً مّا يتلو علينا آياته ويزكيانا، ويعلّمنا الكتاب والحكمة، والصلة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيّنا محمد وعلى آلـه وصحبه،

أما بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذة من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدانها يكون فساده وخرابه واحتلاله، كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنياء: ٢٢)، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَمْرَ بِيَنْهُنَّ لِنَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولمّا كان غير ممكن للعقل أن تستقلّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله

رسَلَهُ وَأَنْزَلَ كِتَبَهُ، لِإِيْضَاحِهِ وَبِيَانِهِ وَتَفْصِيلِهِ لِلنَّاسِ حَتَّى يَقُومُوا بِعِبَادَةِ اللهِ عَلَى عِلْمٍ وَبِصِيرَةٍ وَأَسْسٍ وَاضْحَى وَدِعَائِمٍ قَوِيمَةٍ، فَتَبَاعِيْرُ رَسُولُ اللهِ عَلَى تَبْلِيغِهِ، وَتَوَالِيَا فِي بَيَانِهِ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، وَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ أَنَّسَنَا رُسُلَنَا تَنَّرًا﴾ (الْمُؤْمِنُونَ: ٤٤)، أَيْ يَتَبعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى أَنْ خَتَمْهُمْ بِسَيِّدِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ وَإِمَامِهِمْ نَبِيًّا مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَّ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّهُ جَهَادَهُ وَدَعَا إِلَى اللهِ سَرَّاً وَجَهْرًا، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ أَكْمَلَ قِيَامًا، وَأَوْذَى فِي اللهِ أَشَدَّ الْأَذَى، فَصَرَّى كَمَا صَرَّ أُولُو الْعِزَمِ مِنَ الرِّسُلِ، وَلَمْ يَزِلْ دَاعِيًّا إِلَى اللهِ هَادِيًّا إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ حَتَّى أَظَهَرَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ بِهِ النَّعْمَةَ، وَدَخَلَ النَّاسَ بِسَبِّبِ دُعَوَتِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَلَمْ يَمُتْ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ وَأَتَمَّ بِهِ النَّعْمَةَ، وَأَنْزَلَ فِي ذَلِكَ سَبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾ (الْإِنْجِيلُ: ٣).

فَبَيْنَ صَلَوَاتِ اللهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ الدِّينِ كُلُّهُ أَصْوَلَهُ وَفَرُوعَهُ، كَمَا قَالَ إِمامُ دَارِ الْهُجْرَةِ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ رَحْمَهُ اللهُ: «مُحَالٌ أَنْ يُظْنَنَ بِالنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلِمَ أُمَّتَهُ الْأَسْتِحْجَاءَ وَلَمْ يَعْلَمُهُمُ التَّوْحِيدَ».

وَقَدْ كَانَ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاعِيَةً إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ اللهِ وَنَبْذِ الشَّرِكِ كُلُّهُ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ شَأْنُ جَمِيعِ الْمَرْسِلِينَ؛ إِذَا أَنَّ الرَّسُلَ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ، مُتَضَافِرُونَ عَلَى الدُّعَوَةِ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ مُنْطَلِقٌ دُعْوَتُهُمْ وَزَبْدَةُ رِسَالَتِهِمْ وَأَسَاسُ بَعْثَتِهِمْ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّغْفَوتَ فِيمَنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الْأَضْلَالُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْقَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النَّحْلُ: ٣٦)، وَقَالَ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَّلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَهُ يَعْبُدُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٥)، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّيْتَ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا تُنَزِّفُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاهم شئ ودينهم واحد)^(١)، فالدين واحد، والعقيدة واحدة، وإنما حصل التنوع بينهم في الشرائع، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ (المائدة: ٤٨).

ولذا ينبغي أن يكون متقرراً لدى كل مسلم وواضحًا لدى كل مؤمن أن العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنما الواجب على كل مسلم في مشارق الأرض ومحاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكيك أو تردد، ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولِهِ لَا نُنَزِّفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

فهذا شأن المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلام، ويتحقق له الأمان والأمان، وتزكيه نفسه، ويطمئن قلبه، ويكون بعيداً تمام البعد عمّا يقع فيه ضلال الناس

(١) صحيح البخاري (٣٤٤٣)، وصحيح مسلم (٢٣٦٥).

بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السليمة وقواعدها

المتينة هي - دون غيرها - التي تحقق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيا

والآخرة؛ لوضوح معالجتها، وصحة دلائلها، وسلامة براهينها وحججها،

ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السوية.

ولهذا فإنَّ العالم الإسلامي كله في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافية

النقيّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقرٌّ بخاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلَّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهمَّ أسسُها

وأبرَّزَ أصولها ومعالجتها مما لا غنى لسلم عنه، ويجد ذلك كله مقوًّنا بدليله، مدعماً

بشواهدَه، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي

أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل ممِّيز من صغير

وكبير أن يدركها بأقصر زمان وأوْجز مدةً، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة

نتقدم بالشكر الجليل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بن

سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن

عامر الرحيلي. كما نشكر اللذين قاما بمراجعةه وصياغته وهم: الدكتور علي بن

محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

وإثنا لنجوه سبحانه أن ينفع به عموم المسلمين، وآخر دعونا أن الحمد لله

رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشروع والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعمتها القيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنْ يُحِينَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنْ يُجْزَيَنَّهُ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧). وقال تعالى: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا» (الإسراء: ١٩).

وقال تعالى: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا فَدَعْهُ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الْدَّرَجَاتُ الْعُلَى» (طه: ٧٥). وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا هُمْ جَنَّتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَعْنُونَ عَنْهَا حَوْلًا» (الكهف: ١٠٨، ١٠٧). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنّة على أن الإيمان يقوم على الأصول السنتة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنّة النبوية في مواطن عديدة. منها :

١- قوله تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي

نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلٍ وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَا تَنَاهَى
وَكُثُرَةٌ، وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿النساء: ١٣٦﴾.

٢ - قوله تعالى: «لَيْسَ الَّذِي أَنْوَلُوا وُجُوهُكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الَّذِي مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيَّنَ» (البقرة:
١٧٧).

٣ - قوله تعالى: «ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ لَا فُرْقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَاتُلُوا سَعْنَا
وَأَطْعَنُوا غَفَرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْمَصِيرُ» (البقرة: ٢٨٥).

٤ - قوله تعالى: «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ» (القمر: ٤٩).

٥ - وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور
بحديث جبريل أن جبريل سأله النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن
تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره
وشره) ^(١).

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا
 بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض،
 فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.
 ولذا كان متاكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنایته واهتمامه بهذه
 الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

(١) صحيح مسلم برقم (١).

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله عز وجل هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنًا، وأعلاها قدرًا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وق末ام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى ربٌّ كلُّ شيءٍ وملِيكٌ وحالُقهُ ورازُقهُ، وأنَّه الحيُّ المميتُ النافعُ الضارُّ، المتردُّ بالإجابة عند الاضطرارِ، الذي له الأمرُ كُلُّهُ، و بيدهُ الخيرُ كُلُّهُ، وإليه يُرجعُ الأمرُ كُلُّهُ، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفرادُ الله وحده بالذلُّ والخضوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفرادُ الله تعالى بما سمي ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنزييهه عن النقصان والعيوب وعما تله الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلٍّ شيءٍ عليه، وعلى كُلِّ شيءٍ قدِيرٌ، وأنَّه الحيُّ القيُومُ الذي لا تأخذُه سِنةٌ ولا نومٌ، له المشيئَة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصيرٍ، رؤوفٌ رحيمٌ، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه السَّمَلِكُ القدوسُ السلامُ المؤمن

المهيمن العزيز الجبار المتكبّر، سبحانه الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلي.

ولكل قسم من هذه الأقسام ثلاثة دلائلٌ كثيرة من الكتاب والسنة. فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، أفاد هذه الحقيقة الشرعية، وهي أنَّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن لم يأت بهذا جميـعـه فليس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقسم من هذه الأقسام :

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولاً: تعريفه :

أ - لغة : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الرب[ُ]، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمُصلح 

ب - أما في الاصطلاح : فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله. ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعم والملك والتوصير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمّن بذلك كله.

ثانياً: أداته :

أ - من الكتاب : قوله تعالى: « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوِنُهَا وَالْقَمَرَ فِي الْأَرْضِ رَوَسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَبْشَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرْوِفِ ما ذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (القمان: ١٠، ١١). وقوله تعالى: « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ » (الطور: ٣٥)

ب - من السنة : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبدالله ابن الشخير رضي الله عنه عنه مرفوعاً وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى ..). وقد ثبت في

الترمذى وغيره أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي وصيَّتِهِ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((... وَاعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ، رَفَعَتِ الْأَقْلَامَ وَجَفَّتِ الصَّحَافَ))^(١).

ج - دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكير في آيات الله الدالة عليه. وللننظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّنَهَا ﴾ (الشمس: ٧)، وهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا حالقا حكيمًا خبيرًا؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها؟ أو أن يحوّلها إلى علقة، أو يحول العلقة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاماً، أو يكسو العظام لحماً؟

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعرف بـ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته ، قال الله تعالى: ﴿ سَرُّهُمْ أَيَّنِتَأْنِي فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيَّنَ

(١) سنن الترمذى (٢٥١٦)، ومستند أحادى (٣٠٧/١)، وقد حسن الحديث الترمذى وصححه، وصححه الحاكم.

لَوْمَهُ أَنَّهُ أَحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (فصلت: ٥٣).

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقاً لهذا الكون، موجداً له مدبراً لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بداع الكائنات علم أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوماً أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: «أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟». فقالوا: «هذا محال لا يمكن أبداً». فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟».

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفريده.

المبحث الثاني:

بيان أنَّ الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم، ولذا فإنه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٦)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وحالقا ورازقا ومدبرا - وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع. وبهذا المعنى للاية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهم: «من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا : الله وهم مشركون». وقال عِكْرِمَة: «تسألهם من خلقهم ومن خلق السموات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره». .

وقال مجاهد: «إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: «ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقه ورازقه، وهو

يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم : ﴿ قَالَ أَفَرَءِي تَسْمِي مَا كُنْتُ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمَ أَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٰتٍ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء : ٧٥ - ٧٧) ^(١).

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون ز من النبي ﷺ مقررين بالله ربا حالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغفرون لهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ تَرَلَى مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكَرَهُهُ لَا يَعْقُلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٧)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّمِيعُ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ * سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴾ * قُلْ مَنْ يَدْعُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَاءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ فَإِنَّ مُسْحِرَوْنَ ﴾ (المؤمنون: ٨٤ - ٨٩).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق

(١) انظر: تفسير ابن حجر (٣١٢ / ٧ - ٣١٣).

العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعبادتها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك ، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائل، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقرّبونهم إليه زلفي؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ...﴾ (الزمّر: ٣)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوهُم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبيّن أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإيمان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

المبحث الثالث: مظاہر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجملة عليه الفوس، متکاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاہر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

١ - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يستندون إلى إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهر، أو نحو ذلك **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْكِنُ إِلَّا الْأَذْهَرُ﴾** (الجاثية: ٢٤).

٢ - جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معانٍ ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

٣ - إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقاد وجود متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معانٍ الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

الفصل الثاني: توحيد الألوهية.

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تأله القلوب وتخضع له وتذلل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفرداً بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبد علم اليقين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقاً أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاوة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضاً من الأغراض غير رضا ربّه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلة، وبيان أهميتها

المطلب الأول: أدلة.

لقد تضافت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بال神性، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

١ - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرِبَّكُمْ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَفَقَّوْنَ ﴾ (البقرة: ٢١)، وقوله: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (النساء: ٣٦)، وقوله: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَبْعُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء: ٢٢)، ونحوها من الآيات.

٢ - وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونَ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٣ - وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الْطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنباء: ٢٥).

٤ - وتارة ببيان أنه المقصود من إزالة الكتب الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلِئَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ انْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَانْتَقُونَ ﴾ (النحل: ٢).

٥ - وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أحور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ لَئِكَ لَهُمْ أَنَّمَّ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿الأنعام: ٨٢﴾

٦ - وтارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: **﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** (المائدة: ٧٢) وقوله تعالى: **﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَنْلَقْ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾** (الإسراء: ٣٩)

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رض قال: قال النبي صل: ((يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم)).^(١)

٢ - وعن ابن عباس رض قال: لما بعث النبي صل معاذا نحو اليمن قال له: ((إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوههم إلى أن يوحدو الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ...)), الحديث، رواه البخاري^(٢).

٣ - وعن ابن مسعود رض أن رسول الله صل قال: ((من

(١) صحيح البخاري (٧٣٧٣).

(٢) صحيح البخاري (٧٣٧٢).

مات وهو يدعو من دون الله ندأ دخل النار))، رواه البخاري^(١).
٤ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)، رواه مسلم^(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّنُوتَ» (النحل: ٣٦)، وقال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (الأنياء: ٧). (٢٥)

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا

(١) صحيح البخاري (٤٤٩٧).

(٢) صحيح مسلم (٩٣).

اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ﴿٦٥﴾ (الأعراف: ٦٥)، وقال تعالى: «وَإِنَّ شَمْوَادَ أَخَاهُمْ صَدِلَ حَافَالَ يَتَقَوَّمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٧٣﴾ (الأعراف: ٧٣) وقال تعالى: «وَإِنَّ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبَافَالَّ يَنَقَوَمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٨٥﴾ (الأعراف: ٨٥).

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدّم أن توحيد العبادة هو مفتاح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرّون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: «وَقَالُوا لَانْذِرْنَا إِلَهَكُمْ وَلَا نَذِرُنَّ وَدَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضْلَلُوا كَيْرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا» (نوح: ٢٤-٢٣)، وقال عن قوم هود عليه السلام: «قَالُوا مَا حَتَنَا إِلَّا فَكَانَعَنَّهُمْ سَيِّئَاتِنَا فَإِنَّا إِنْ كُنَّا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ (الأحقاف: ٢٢)، «قَالُوا يَأْتِ هُودٌ مَا حَتَنَا إِبَيْنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِهِ إِلَهَنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ (هود: ٥٣).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: «قَالُوا يَأْصَلِحُ قَدْ كُنَّتِ فِي نَا مَرْجُوا قَبْلَهُذَا إِنَّهَنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ أَبَاؤُنَا وَإِنَّا لِفِي شَكٍ مَمَاتَدُ عُونَ إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ (هود: ٦٢).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَسْعِيهِ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ
أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ إِبَّاً وَنَأْنَىٰ أَوْ أَنْ نَقْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَوْا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
الْرَّشِيدُ﴾ (هود: ٨٧).

وقال عن كفار قريش: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَفَرُونَ هَذَا
سَحْرٌ كَذَابٌ * أَجْعَلَ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ بُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنَّ أَمْشُوا
وَاصْبِرُوا عَلَىَّ إِلَيْهِ تَكُونُونَ هَذَا الشَّيْءُ يُرَادٌ * مَا سِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَةِ أَلَّا خِرَةٌ إِنَّ هَذَا إِلَّا
أَخْيَالُنَا﴾ (ص: ٤-٧).

وقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُرُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا
* إِنْ كَادَ لِيُضْلِلُنَا عَنِ الْهَدِيَّةِ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ
يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضْلَلَ سَبِيلًا * أَرَيْتَ مَنْ أَخْذَ إِلَيْهِ هَوَيْهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ
وَسِكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ
هُمْ أَضْلَلُ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤١-٤٤).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أو توضح دلالة أن المعترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) ^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥)، وصحيف مسلم برقم (٢٢).

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيفَ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ
بِمَا يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمٌ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحْسَابُهُ عَلَى اللَّهِ) ^(١).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٣).

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تبني عليها.

ال العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بغير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد: إذا كان مذلاً قد وطئه الأقدام.

وشرعًا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وسألتني ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.
وهي تبني على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب لله رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشْدُدُ حُبَّاً لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ (الإسراء: ٥٧).

الثالث: كمال الخوف من الله رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء: ٥٧).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَلِكُ الْيَوْمِ الْدَّيْنِ﴾، فالآية الأولى فيها الحبة؛ فإن الله منعم، والنعم يحب على قدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمته، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يحاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ﴾، أي: أعبدك يا رب بهذه

الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ورجائلك الذي دل عليه: ﴿الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾، وخوفك الذي دل عليه: ﴿مَلِكٌ يَوْمٍ الْدِيْنِ﴾.

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

١ - الإخلاص فيها لله تعالى؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيْنَ﴾ (البيت: ٥)، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلّٰهِ الدِّيْنُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٣)، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللّٰهُ أَعُبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِيْنِي﴾ (الزمر: ٤).

٢ - المتابعة للرسول ﷺ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق له ولرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَئْتُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَرَجٌ مَا مَأْتَيْتَ وَإِنَّمَا يُسَلِّمُوا نَسِيلًا﴾ (النساء: ٦٥).

وقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ^(١) (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ، قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧، الملك: ٢): «أخلصه وأصوبه»، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا

(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧).

كان صواباً ولم يكن حالصاً لم يقبل حتى يكون حالصاً صواباً، والحالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة»^(١).

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْبَشَ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّمَا إِلَّا لِهُ كُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

١ - فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.
قال الله تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ ﴾ (غافر: ١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِنَّ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَحِي بِهِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَنِفُلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءٍ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفَّارٍ بِنَرْ ﴾ (الأحقاف: ٥ - ٦).

فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً، ومن دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا.

(١) حلية الأولياء: (٩٥/٨).

والدعاة نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

٢ ، ٣ ، ٤ - ومن أنواع العبادة: الحرج والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

٥ - ومن أنواعها: التوكّل، وهو الاعتماد على الشيء.
والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتماداً عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة: ٢٣)،
وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ ﴾ (الطلاق: ٣).

٦ ، ٧ ، ٨ - ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع،
فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثار للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا نَاخِشِعِينَ ﴾ (الأنياء: ٩٠).

٩ - ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي ﴾

(البقرة: ١٥٠) ﴿فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشُوْنَ﴾ (المائدة: ٣).

١٠ - ومنها الإنابة، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْبِيُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا إِلَهُ﴾ (الزمر: ٤).

١١ - ومنها: الاستعانة، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمرور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَبْتُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ﴾، وقال ﷺ في وصيته لابن عباس: (إذا استعن فاستعن بالله) ^(١).

١٢ - ومنها: الاستعاذه، وهي طلب الإعاذه والحماية من المكروه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا حَلََّ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ أَلْوَسَّاِسِ الْحَنَّاسِ﴾.

١٣ - ومنها الاستغاثة، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، قال الله تعالى: ﴿إِذْ سَتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩).

١٤ - ومنها الذبح، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ (الكوثر: ٢).

١٥ - ومنها النذر، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، قال الله تعالى: ﴿يُؤْفَوْنَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧).

(١) سنن الترمذى (٢٥١٦)، ومسند أحمد (٣٠٧/١)، وقد حسن الحديث الترمذى وصححه الحاكم.

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكّل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاة ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلوة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله عز وجل، مجانية لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَرِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبه: ١٢٨). وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخصص وعم في حماية الحنيفة السمحاء ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قد يشوهها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقض، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ، فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبيّن من خلاله حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدّه كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ - تعريفها: الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلباً للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب - حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن

فيه شرك»، رواه مسلم^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في الرقيقة من العين^(٢) والحمّة^(٣) والنملة^(٤)»، رواه مسلم^(٥).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (من استطاع أن ينفع أخيه فليفعل)، رواه مسلم^(٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إذا اشتكي منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: (أذهب الباس رب الناس وشفف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقماً)، رواه البخاري ومسلم^(٧).

ج- شروطها: ولحوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محروم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهوماً معلوماً، فإن كانت من جنس الطلالسم

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٠).

(٢) «العين» إصابة العائن غيره بعيته بقدر الله.

(٣) «الحمّة» بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة: وهي السم، ومعناه: أذن في الرقيقة من كل ذات سم، مثل لدغة الثعبان، أو المقرب أو نحوها.

(٤) «النملة» بفتح النون وإسكان الميم: قروح تخرج من الجنب.

(٥) صحيح مسلم برقم (٢١٩٦).

(٦) صحيح مسلم برقم (٢١٩٩).

(٧) صحيح البخاري برقم (٥٧٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩١).

والشعودة فإنها لا تجوز.

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقى؟ فقال: «لا بأس بذلك، بالكلام الطيب».

د - الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتوثر بذاتها، أو تكون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلك؛ أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التمائم.

أ- تعريفها: التمائم جمع قيمـة، وهي ما يعلق على العنق وغيرها من تعويذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضرر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقوون بها العين بزعمهم الباطل.

ب- حكمها: التحرير،
بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رض قال: سمعت رسول الله صل يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)، رواه أبو داود والحاكم ^(١).
وعن عبد الله بن عكيم رض مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه)، رواه

(١) سنن أبي داود برقم (٣٨٨٣)، ومستدرك (٤/٢٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

أحمد والترمذى والحاكم^(١).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: (من تعلق قيمه فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)، رواه أحمد والحاكم^(٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (من علق قيمه فقد أشرك)، رواه أحمد^(٣). فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقى الشركية التي كانت هي غالب رقي العرب فهـي عنها لما فيها من الشرك والتـعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجه أربعة:

- ١- عموم النهي عن تعليق التمائيم، ولا مخصص للعموم.
- ٢- سدا للذرية، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.
- ٣- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.
- ٤- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة به على المريض فلا تتجاوز.

(١) مستند أـحمد (٤/٣١٠)، وسـنـنـ التـرمـذـيـ برـقمـ (٢٠٧٢)، ومستـدرـكـ الحـاكـمـ (٤/٢٤١) وصـحـحـهـ الحـاكـمـ.

(٢) مستـندـ أـحمدـ (٤/١٥٤)، ومستـدرـكـ الحـاكـمـ (٤/٢٤٠)، وصـحـحـهـ الحـاكـمـ ووـافـقـهـ الذـهـبـيـ.

(٣) مستـندـ أـحمدـ (٤/١٥٦)، وصـحـحـهـ الحـاكـمـ (٤/٢٤٤)، وـقـالـ عـبـدـالـرـحـمـنـ بـنـ حـسـنـ وـرـوـاـتـهـ ثـقـاتـ.

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ - الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العين، والله تعالى يقول: ﴿فُلْ أَفْرَءَ يَتَمْ مَاتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ فِي اللَّهِ بِصْرًا هُلْ هُنَّ كَيْشَفَتُ صُرُفٌ أَوْ أَرَادَ فِي رَحْمَةٍ هَلْ هُنْ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر: ٣٨)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الظُّرُرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٥٦).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: (أن النبي صلوات الله عليه رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً)، رواه أحمد ^(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦) ^(٢).

ب - حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقاد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شرك أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقاد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

(١) المستند (٤٤٥)، وقال البوصيري إسناده حسن وقال المishihi رجاله ثقات.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧٧٢٠).

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثراً فهو مشرك شركاً أصغر لأنه جعل ما ليس سبباً سبباً والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشركة الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلب العماء أو دفع البلاء.

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرتين:

١ - أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَّكٌ ﴾ (الأنعام: ٩٢، ١٥٥)، فمن بركته هدايته للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وقديسيه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢ - أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاء ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليبي قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بکفر، وللمشركين سدرة^(١) يعکفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذی نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَّهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)،

(١) السدرة: شجرة ذات شوك.

لتركب سنن من كان قبلكم)، رواه الترمذى وصححه^(١). فقد دل هذا الحديث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولهذا أخير في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا الموسى: «أَجْعَلْنَا إِلَيْهَا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌوْ» فهؤلاء طلبو سدرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون، وأولئك طلبو إليها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إله غير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: (لتركب سنن من كان قبلكم) إشارة إلى أن شيئاً من ذلك سيقع في أمته ﷺ، وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهياً ومحذراً.

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشفت شبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نهايكم عن زيارة القبور فزوروها)، رواه مسلم^(٢).

(١) سنن الترمذى برقم (٢١٨٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٩٧٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (زوروا القبور فإنها تذكر الموت) ^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (إنني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة) ^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا) ^(٣).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وال المسلمين، وإنما إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية)، رواه مسلم ^(٤).

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعيّة زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، وينذهب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

(١) صحيح مسلم برقم (٩٧٥).

(٢) مستند أحمد (٣٨/٣)، ومستدرك الحاكم (١/٥٣١).

(٣) مستدرك الحاكم (١/٥٣٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٩٧٥).

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلك طلب بالحجارة
والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها،
صيانة للتوحيد وحماية لجنباته، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنة
من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

١ - النهي عن قول المحرر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله ﷺ: (ولا تقولوا هجرا)، والمراد بالهجر كل أمر ممحظى
شرعًا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقربين وسؤالهم من دون
الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البواح
والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع من
ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه
أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: (ألا إن من كان
قبلكم كانوا يتخذون قبور الأنبياء وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور
مساجد إني أهلكم عن ذلك)^(١). فدعاة الأموات وسؤالهم الحاجات
وصرف شيء من العبادة لهم شرك أكبر، أما العکوف عند القبور وتحري
إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البدع
المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الذي

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ^(١).

٢ - الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المغدورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وسائل الشرك لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عقر في الإسلام)، قال عبد الرزاق: (كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة) ^(٢).

٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ - رفعها زيادة على التراب الخارج منها، وتجسيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فك كل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحصلن القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه). رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم ^(٣).

٨ - الصلاة إلى القبور وعندتها.

فعن أبي مرثد الغنوبي قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم ^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الأرض كلها

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٢٢٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٧٠)، وسنن أبي داود برقم (٣٢٢٥)، ورقم (٣٢٢٦)، ومستدرك الحاكم (٥٢٥/١).

(٤) صحيح مسلم برقم (٩٧٢).

مسجد، إلا المقبرة والحمام). رواه أبو داود والترمذى^(١).

٩ - بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

١٠ - اتخاذها عيда.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تتخذوا قبرى عيضاً^(٢)، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كتم فصلوا على، فإن صلاتكم تبلغني)، رواه أبو داود وأحمد^(٣).

١١ - شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تشـدـ الرـحالـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ مـسـاجـدـ: المسـجـدـ الـحـرامـ، وـمـسـجـدـ الرـسـولـ، وـمـسـجـدـ الـأـقصـىـ)). رواه البخاري ومسلم^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٢)، وسنن الترمذى برقم (٣١٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) العيد هو الذي يعود ويكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم كل يوم من أجل السلام فكانه يتخذه عيده، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمر المسلمين أن يصلوا ويسلموا عليه وهو في أي مكان كان لأن الله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة.

(٣) سنن أبي داود برقم (٢٠٤٢)، ومستند أحمد (٣٦٧/٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٨٩)، وصحيح مسلم (١٣٩٧).

المطلب السادس: التوسل.

أ - تعريفه: التوسل مأخذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد والسعى في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهى عنه.

ب - معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة «الوسيلة» في القرآن الكريم في موطنين:

١ - قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (المائدة: ٣٥).

٢ - قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغَفَّونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ حَذُورًا﴾** (الإسراء: ٥٧).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد^(١).

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: «نزلت في نفر من العرب

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٠).

كأنوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنّيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون»^(١).

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الحليلة، ولذلك قال: ﴿يَنْجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةُ﴾ أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل منوع.

١ - **التوسل المشروع**: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيها عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعه فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل منوع.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسن أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠).

(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٢٠). وصحیح البخاری برقم (٤٧١٤).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم إيمانك بي، ومحبتك لك، واتباعك لرسولك أغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عنِّي، أو أن يذكر الداعي عملاً صالحًا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَعْثُلُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا إِمَّا مَا أَزَّلْتَ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ فَأَكَيْتُمْ بَعْنَامَ الشَّهَدِينَ﴾ (آل عمران: ٥٣). ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بينما ثلاثة نفر منكم كان قبلكم يمشون إذ أصاهم مطر، فألووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأنني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أنني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجراه، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنِّي، فانساحت^(١) عنهم الصحراء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلين غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي

(١) فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه، كما في حديث سالم.

وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أستقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشتيك ففرح عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإنني راودتها عن نفسها فأبأيتها إلا أن آتتها مائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تف pem الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشتيك ففرح عنا، ففرح الله بهم فخرجوا). رواه البخاري^(١).

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والقوى والحافظة على طاعة الله، فيطلب منه أن يدعوه له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعوه لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنير ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغينا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة^(٢))

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٥).

(٢) سحاب متفرق.

ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسيط السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس). قال شريك: فسألت أنساً: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدرى^(١).

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ذكر أن في أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكترون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محسن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم)^(٢). ومن ذلك حديث ذكر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه قال: (فاسأله أن يستغفر لكم).

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

- ٢ - التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:
- ١ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم

(١) صحيح البخاري برقم (١٠١٣)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨).

وسوء الهم قضاء الحاجات وتفريح الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

٢ - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعائے الله
عندھا، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك
الأصغر المنافق لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا حرام، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ (يونس: ٥٩) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ لِيَسَ لِلإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (التاج: ٣٩)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ

أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)) .
قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان
وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

د - شبّهات وردّها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقرير أهتم الخطأة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:
الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:
١ - حديث: (تосلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، أو (إذا سألمت الله فسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، وهو حديث باطل لم

يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

٢ - حديث: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور)، أو (فاستغثوا بأهل القبور)، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

٣ - حديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه)، وهو حديث باطل منافق لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

٤ - حديث: (لما اقْرَفَ آدُمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبَّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ: يَا آدُمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبَّ لِمَا خَلَقْتَنِي بِيْدِكَ وَنَفَخْتَ فِي مِنْ رُوْحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتَ عَلَى قَوَافِلِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَضْفِ إِلَيْكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقَ إِلَيْكَ، فَقَالَ: غَفَرْتَ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدًا خَلَقْتَكَ^(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ باطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ، وَمِثْلُهُ حَدِيثٌ: (لَوْلَاكَ مَا خَلَقْتَ الْأَفْلَاكَ).

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يتuft عندها فضلاً عن أن يتعجب منها ويعتمدتها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفوها عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

١ - ما ثبت في الصحيح: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك ببنينا فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون)^(٢).

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج ١ ح ٨٨/٢٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٠١٠).

فهموا من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله عز وجل، وأن المراد بقوله: (كنا نتوسل إليك بنينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا)) [أي بجاهه].

وهذا ولا ريب فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياته كما تقدم بعض هذا المعنى، وعمر رضي الله عنه لم يرد بقوله: ((إننا نتوسل إليك بعم نبينا)) أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروفاً عندهم لما عدل عمر عن التوسل بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي هو أفضل الخلق، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا بداعه غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بداعء المتوسل لا بذاته.

وبهذا يتبيّن أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجهاز التوسل بالذات أو الجاه.

٢ - حديث عثمان بن حنيف: (أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: ادع الله ألم يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد بن الرحمة، إني توجّهت

بك إلى ربى في حاجي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في)، رواه الترمذى وأحمد وقال البيهقى إسناده صحيح^(١).

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعوه له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: (إن شئت صبرت وإن شئت دعوت)، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصححة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ بركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقى في دلائل النبوة^(٢).

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة حارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه له)، رواه مسلم^(٣).

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.
وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

(١) سنن الترمذى برقم (٣٥٧٨)، ومستند أحمد (٤/١٣٨).

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (٦/١٦٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

المطلب السابع: الغلو.

أ - تعريفه: الغلو في اللغة هو محاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو محاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب - حكمه: التحرير؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه وبيان سوء عواقبه على أهله في العاجل والأجل . قال الله تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ (النساء: ١٧١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوْا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوْا كَثِيرًا وَضَلُّوْا عَنْ سَوَاءِ الْسَّكِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)، رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتطعون)، قال لها ثلاثاً، رواه مسلم^(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما

(١) المسند (٣٤٧/١)، والمستدرك (٦٣٨/١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٠).

أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله)، رواه البخاري^(١).

والمراد بهذا الحديث، أي: لا ت مدحوني فتغلوا في مدحني كما أغلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربى، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتکابا لنھيئه ونافضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قریبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفریج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥).

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلام من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحب أن تعرف سبيل الحق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبيل الباطل لتجنبه وتبغض، والمسلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سبيل الشر ليحذرها، وهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»^(١).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الواقع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصود عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذِّلِكَ تُفْصِلُ الْآيَتِ وَلَنَسْتَيْنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥). وفيما يلي ذكر بعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٨٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٧).

المطلب الأول: الشرك.

أ - تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشعدين.
وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

١ - المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه،
ويدرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من
خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد
والإمامة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَفَلَا تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: ٣).

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في
شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
(الشوري: ١١).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من
خصائص الألوهية، كالصلوة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر
ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِنْ دُوَنِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ١٦٥).

٢ - المعنى الخاص: وهو أن يتخد الله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله
الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا
هو المعنى المبادر من كلمة «الشرك» إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

ب - الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوّعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

١ - فقد أخبر الله سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفر إلا بالتنوّه منه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء: ٤٨).

٢ - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَشَرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣).

٣ - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشَرَكْتَ لِيَحْجَضَنَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٥).

٤ - ووصفه بأن فيه تنقصاً لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَأَلَّهُ إِن كُنَّا لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ سُوِّيَّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٩٦ - ٩٨).

٥ - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلداً في نار جهنم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَوْنَهُ الْتَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جداً في القرآن الكريم.

ج - سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين

المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والشاء عليهم، قال الله تعالى:
﴿ وَقَالُوا لَأَنْذِرْنَاهُ الْهَتَّكُونَ وَلَا نَذِرْنَاهُ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَسَرَّا * وَقَدْ أَضَلُّوْكُثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (سورة الحج: ٢٤-٢٣).

فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما ماتوا جعلوا لهم أصناما على صورهم وسموها بأسمائهم قاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل هم الأمر إلى عبادتهم.

ويشهد لهذا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صارت الأواثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سباء، وأما يعوق فكانت لمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أو حى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تبعد حتى إذا هلك أولئك ونسخ^(١) العلم عبدت»^(٢).

روى ابن جرير الطبرى عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا نَذِرْنَاهُ الْهَتَّكُونَ ﴾ الآية، قال: «كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا

(١) (ونسخ العلم) أي علم تلك الصور بمحضها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٢٠).

وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسكنون المطر، فعبدوهم»^(١). فجمعوا بين فنتين:
الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.
فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د - أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.
١ - الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يمكن مخلداً في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:
١ - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة)، رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن صحيح^(٢)، قال الله تعالى : « وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْرِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدِّلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ». (غافر: ٦٠).

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفة لغير الله شرك، فمن دعا نبياً أو ملكاً أو وليناً أو قبراً أو حمراً أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كما

(١) تفسير الطبرى (١٢/٢٥٤).

(٢) مسند أحمد (٤/٢٦٧)، وسنن الترمذى برقم (٢٩٦٩).

قال تعالى : « وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى لَبَرْهَنَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » (المؤمنون : ١١٧).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى :

« فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ » (العنكبوت : ٦٥) ، فأخير عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رحائهم، ويخلصون له في كربهم وشدتهم، فكيف من يشرك بالله في الرخاء والشدة عيادة بالله .

٢ - شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل الفاق الحلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى : « مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتْهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْتَيْكُمُ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَثْكَارٌ وَحَيْطٌ مَا صَنَعْتُمْ فِيهَا وَبَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (هود : ١٥ - ١٦) .

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة .

٣ - شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويجرموا ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف للدين الإسلام فقد اتخذه أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر .

قال الله تعالى : « أَنْهَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَبْنَاهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِهِ اللَّهُ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَيْهَا وَاحْدَاءً لِلَّهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (التوبه : ٣١) .

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية (أي في تبديل حكم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية (في تبديل حكم الله)، فقال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه)، قال: بلى. قال: (فتلك عبادتهم)، رواه الترمذى وحسنه، والطبرانى في المعجم الكبير ^(١).

٤ - شرك الحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومنى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشَاءُ خُدُونَ اللَّهَ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

٢ - النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو ما جاء في النصوص تسميه شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

أ - يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيمة إذا جازى

(١) سنن الترمذى برقم (٣٠٩٥)، والمعجم الكبير للطبرانى (٩٢/١٧).

الناس بأعمالهم: اذهروا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون
عندهم جزاء^(١).

ب - قول: «ما شاء الله وشئت»، روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) ^(٢).

ج- قول: «لولا الله وفلان»، أو قول: «لولا البط لأنانا
اللصوص»، ونحو ذلك، روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن
عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِهِ
أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «الأنداد هو الشرك أخفى من
دبب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله
وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لو لا كليبة هذا لأنانا اللصوص،
ولولا البط في الدار لأنى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: ما شاء الله
وشئت، وقول الرجل: لو لا الله وفلان، لا يجعل فيها فلانا، هذا كلّه به
شرك»^(٣).

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

١ - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتنورة، وأما الأصغر فتحت المشية.

(١) مسند أحمد (٤٢٨/٥)، قال المنذري إسناده حميد، الترغيب والترهيب (٤٨/١)، وقال المheimي رجاله رجال الصحيح، بجمع (١٠٢/١).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٠)، قال الذهبي في مختصر البيهقي (١/١٤٠) إسناده صالح.

(٣) تفسیر ابن حیثام (١/٦٢).

٢ - أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يمحط إلا العمل الذي قارنه.

٣ - أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤ - أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكفيه من الذنب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ - تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية. وشرعًا: ضد الإيمان، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

ب - أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.
فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولاً: الكفر الأكبر.

وهو خمسة أنواع:

١ - كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ لِمَاجَاهَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْكَافِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٨).

٢ - كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالماً بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا يقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكباراً وعناداً، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلِئَكَةَ اسْجُدُوا لِإِلَهٍ مُسْجَدٌ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤).

٣ - كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظْنَنُ أَنْ تَبِدِّدْ هَذِهِ أَبْدَا * وَمَا أَظْنَنُ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدتُّ إِلَى رَبِّ الْأَجْدَنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ مُحَاوِرٌ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيْتَكَ رَجْلًا * لَذِكْرًا هُوَ لِلَّهِ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: ٣٥ - ٣٨).

٤ - كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلى عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه بما جاء به الرسول ﷺ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (الأحقاف: ٣).

٥ - كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبيطن الكفر^(١)، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمْنَوْا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (النافقون: ٣).

(١) مدارج السالكين (٣٤٦/١).

والنفاق على ضربين:

١ - نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهو سبعة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بالخفاض دين الرسول، أو الكراهة لانتصار دين الرسول.

٢ - ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوْتَمْنَ خان، وإذا حَدَثَ كَذَبُ، وإذا عاهدَ غَدَرُ، وإذا خَاصَّمَ فَحْرَ)) متفق عليه^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوْتَمْنَ خان))، رواه البخاري^(٢).

ثانياً: الكفر الأصغر

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مِثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقٌ هَارِغًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣).

لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْحَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿النحل: ١١٢﴾.

وفي قوله ﷺ: (اشتأن في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت)، رواه مسلم^(١).

وفي قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)، رواه البخاري ومسلم^(٢).

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْسَلُوا فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا إِنْ أَحَدٌ نِهْمَةً عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوهُ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمْ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحرات: ٩، ١٠)، فسماهم الله عز وجل مؤمنين مع الاقتتال.

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِنَّمَا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨)، فدللت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنْوَهَ إِلَّا سَارٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائد: ٧٢).

(١) صحيح مسلم برقم (٦٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢١)، وصحيح مسلم برقم (٦٥).

المبحث الخامس:

ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله عز وجل بعلمه واحتضن نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَا يَعْلَمُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (النمل: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿ لَهُ عِيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الكهف: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ﴾ (الرعد: ٩). فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عنمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ (هود: ٣١)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَبِلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ (الأحقاف: ٢٣)، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ (الأنعام: ٥٠)، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَمَ إِدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَئِكَةِ فَقَالَ أَنِّي شُوْنِي بِاسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ * قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣١ - ٣٢).

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق

الوحي، كما قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عِنْدِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولِهِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لَيَعْلَمُ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطُ بِمَا لَدَهُمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٨-٢٦)، وهذا من الغيب النسي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعى علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيراً وضلوا عن سوء السبيل، كالسحررة والكذابين والمنجمين، وغيرهم. وفيما يلي عرض جملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب، ويضللون بها عوام المسلمين وجهاتهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

١ - السحر: وهو في اللغة ما حفي ولطف سبيه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَوَّا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرُ وَمَا أُنزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِإِلَهَتِهِمْ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرِفُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَصْرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا مَنِ اسْتَرَهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِهِ وَلَئِنْسَ مَا شَرَّوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢).

ومنه النفي في العقد، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ
مَاخِلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْأَعْقَدِ *
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

٢ - **التنجيم:** وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد))، رواه أبو داود^(١).

٣ - **زجر الطير والخط في الأرض:** فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((العيافة والطيرة والطرق من الجب))^(٢)، أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها ومرها، والطرق الخط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

٤ - **الكهانة:** وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) رواه أبو داود وأحمد والحاكم^(٣).

(١) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٧)، ومسنن أحمد (٤٧٧/٣).

(٣) سنن أبي داود (٣٩٠٤)، ومسنن أحمد (٤٢٩/٢)، المستدرك (١/٥٠) قال الحاكم صحيح على شرط الشيفين ووافقه الذهبي.

٥ - كتابة حروف أبا جاد: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قدرًا معلوماً من العدد ويجري على ذلك أسماء الأدمين والأزمنة والأمكنة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحس ونحو ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهم في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق))، رواه عبد الرزاق في المصنف ^(١).

٦ - القراءة في الكف والفنegan ونحو ذلك مما يدعى به بعض هؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنى وصحة ومرض ونحو ذلك.

٧ - تحضير الأرواح: ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتى ويسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نوع من الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس على الجهل وأكل أموالهم بالباطل والتوصل إلى دعوى علم الغيب.

٨ - التطير: وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتحويشه.

فعن عمران بن حصين مرفوعاً: ((ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ))، رواه البزار ^(٢).

(١) المصنف (١١/٢٦).

(٢) مستند البزار (٩/٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٣٥٧٨)، و قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١١٧) رجاله رجال الصحيح.

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، وينحرهم الفقه في الدين،
ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

**التمهيد : الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك على
المسلم.**

المبحث الأول : تعريفه وأدله.

أولاً : تعريفه.

ثانياً : المنهج الحق في إثباته.

ثالثاً : أدلة هذا المنهج.

**المبحث الثاني : أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء
والصفات في ضوء الكتاب والسنة.**

المبحث الثالث : قواعد في باب الأسماء والصفات.

التمهيد

الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك في سلوك المسلم

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثاراً عظيمة في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعاني التي يجد بها العبد في عبوديته القلبية التي تثمر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبه، وضبط هوا جسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضي الله تعالى، ويحب الله وفي الله، به يسمع، وبه يصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

هذه المعاني وغيرها مما يتعلق بالإيمان بمعاني الأسماء والصفات تثمر العبودية الظاهرة والباطنة على تفاوت بين شخص وآخر وذلك فضل الله يؤتى من يشاء.

فلاسمه «الغفار» أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمته ولاسمه «شديد العقاب» أثره الكبير في خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهذا لأنسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة في نفس المسلم واستقامته على شرع الله بل وتحقيق محبته في القلوب التي هي أساس سعادته المسلم في الدنيا والآخرة، ومفتاح كل خير وأعظم عون للعبد على عبادته لربه على أكمل الوجوه إذ الأعمال الظاهرة تخف وتتقل على النفس بحسب المحبة القلبية لله تعالى.

فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله منوط بالمحبة القلبية لله. والمحبة منوطه بمعونة الله بأسمائه وصفاته. ولهذا كان أعظم الناس عبادة لله رسول الله الذين هم أعظم الناس محبة له وأعرفهم به.

المبحث الأول

تحرير توحيد الأسماء والصفات وأدلة

أولاً : تعريفه :

توحيد الأسماء والصفات : هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ ، ونفي ما نفي الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة دلالاً لها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق.

ثانياً : المنهج في إثباته :

يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق بالحازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحرير ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل.

والتحرير : هو التغيير وإإمالة الشيء عن وجهه. وهو قسمان :

١ - تحرير لفظي. وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ (ط:٥) إلى استوى. قال صاحب النونية:

نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان

٢ - تحرير معنوي. وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه

كمن فسر «اليد» لله تعالى بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع ولا اللغة.

والتعطيل : هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصرف بصفة.

والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح. أما التعطيل فهو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

والتكيف : تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كذا وكذا، وكيفية استواه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عن إدراكه.

والتمثيل : هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجهنا تعالى الله عن ذلك.

ويتنظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول من حقيقها سلم من الانحراف في هذا الباب. وهي :

الأصل الأول : تزييه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني : الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه به

رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

الأصل الثالث : قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالى لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

فمن حق هذه الأصول الثلاثة فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسماء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب.

ثالثاً : أدلة هذا المنهج :

دللت الأدلة من كتاب الله تعالى على تقرير هذا المنهج.

فمن الأدلة على الأصل الأول: وهو تنزيه الرب عز وجل عن مشاهدة المخلوقين، قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ۱۱). ومقتضى الآية نفي المماطلة بين الخالق والمخلوق من كل وجه مع إثبات السمع والبصر لله عز وجل وفي هذا إشارة إلى أن ما يثبت لله من السمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين مع كثرة من يتصرف بهما من المخلوقين. وما يقال في السمع والبصر يقال في غيرهما من الصفات. واقرأ قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي رَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. أورد ابن كثير في تفسير الآية ما رواه البخاري في التوحيد (٣٧٢/١٣) والإمام أحمد في المسند (٤٦/٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المحادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع فأنزل الله عز وجل

﴿ قَدْسِيْعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي بُحَدِّدَ لَكَ فِي زَوْجِهَا .. ﴾ إِلَى آخر الآية». ^(١)

ومن الأدلة أيضاً قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ (الحل: ٧٤).

قال الطبرى في تفسير الآية: «فلا تمثلوا الله الأمثال ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لا مثل له ولا شبه» ^(٢).

وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً ﴾ (مريم: ٦٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: «هل تعلم للرب مثلاً أو شيئاً».

ومن الأدلة لهذا الأصل: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ٤) قال الطبرى: «ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء».

ومن الأدلة على الأصل الثاني: وهو الإيمان بما جاء في الكتاب والسنّة من أسماء الله وصفاته، قول الله عز وجل: ﴿ أَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نُوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَنْعُودُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (القرآن: ٢٥٥).

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد: ٣). وقوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسِّعُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ٢٢-٢٤).

(١) ابن كثير (٦٠/٨).

(٢) الطبرى (٦٢١/٧).

ومن السنة حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالحمد لله والنبي)، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعود بك من شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعده شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغينا من الفقر) ^(١). والنصوص في تقرير هذا الباب كثيرة تخل عن المحصر.

وأما الأصل الثالث وهو قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبارك وتعالى فقد دل عليه قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠). قال بعض أهل العلم في معنى الآية: «لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيةها».

ومن الأدلة لهذا الأصل أيضاً قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣) قال بعض العلماء في معرض حديثه عن الآية: «وهذا يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحث يحاط به فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد على الرؤية فالرب يرى في الآخرة ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط بعلمه». وينبغي

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧١٣).

للعقل أن يعلم أن للعقل حداً يصل إليه ولا يتعده كما أن للسماع والبصر
حداً ينتهيان إليه، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكير في كيفية
صفات الله، فهو كالذى يتكلف أن يصرر ما وراء الجدار أو يسمع
الأصوات في الأماكن البعيدة جداً عنه.

المبحث الثاني

أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة

دل الكتاب والسنة على إثبات الأسماء والصفات للرب عز وجل في مواطن كثيرة من أوجه متعددة وفي سياقات متنوعة. والأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة كثيرة جداً دونت فيها الكتب والمصنفات وعد أهل العلم الكثير منها. ونذكر هنا طائفة منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

**فمن أسماء الله تعالى :
الحي والقيوم :**

وقد دل على هذين الاسمين الكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ﴾ (القرآن: ٢٥٥). ومن السنة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: (لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به

أعطي^(١).

الحميد :

وقد دل عليه قول الله عز وجل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (البقرة:٢٦٧). ومن السنة حديث كعب بن عُجرة في التشهد أن النبي ﷺ علمهم أن يقولوا: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ...)^(٢).

الرحمن والرحيم :

وقد دل عليهما قول الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (الفاتحة: ٢، ٣).

ومن السنة أمر النبي ﷺ كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبين المشركين أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)^(٣).

الخليم :

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر: ٤٤). ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الخليم ..) الحديث.^(٤)

(١) رواه الحاكم برقم (١٨٥٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٧٠)، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٧٣١).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٣٤٥)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

ومن صفات الله : القدرة :

وهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنّة. ومعنى ذاتية: أي ملزمة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٠). ومن السنّة حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ: (ضع يدك على الذي تألم من جسدي، وقل: بسم الله ثلاثاً وقل، سبع مرات: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر) ^(١).

الحياة :

وهي من صفات الله الذاتية. وهي مشتقة من اسمه الحي وقد تقدم ذكر الأدلة عليها.

العلم :

صفة ذاتية لله تعالى وثبوتها بالكتاب والسنّة. قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ (البقرة: ٢٥٥). ومن السنّة حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخاراة: (اللهم إني أسألك بعلتك وأستقدرك بقدرتك ...) ^(٢).

الإرادة :

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنّة. والصفات الفعلية هي المتعلقة

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٠٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٣٨٢).

بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدُ
اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحُ صَدَرَهُ مِلِلَّا سَلَمٌ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلَلُهُ يَجْعَلُ صَدَرَهُ ضَيِّقًا
حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ١٢٥). ومن السنة حديث
عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا
أراد الله بقوم عذاباً، أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم)^(١).

العلو :

وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿سَيِّجَ أَسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١). وقال تعالى: ﴿يَمَغَافِنَ رَبَّهُمْ مَنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: ٥٠).
ومن السنة حديث أبي هريرة المتقدم في المبحث الأول في الذكر عند النوم
وفيه: (... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدهك
شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء
...)^(٢).

الاستواء :

وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ (طه: ٥). وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله
ﷺ يقول: (ما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه)^(٣). ومعنى الاستواء في

(١) رواه مسلم برقم (٩٢٨٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧١٣).

(٣) رواه الذهي في العلو برقم (١١٩) وقال: رواه ثقات، رواه الخلال في كتاب السنة.

لغة العرب: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود واستواء الله تعالى على عرشه استواء يليق بجلاله.

الكلام :

وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، وقد دل على صفة الكلام الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَنْهَمُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (السباء: ١٦٤)، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّيْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

ومن السنة حديث أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: (احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيّتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ...) الحديث.^(١)

الوجه :

وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا أَبْيَقْنَاهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (القراءة: ٢٧٢). قوله: ﴿وَيَقْنَعُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَأَلِكَارَم﴾ (الرحمن: ٢٧)، ومن السنة حديث جابر بن عبد الله قال: (ما نزلت: هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ عَيْتَكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقَكُمْ﴾) قال النبي صل: أعود بوجهك. فقال: ﴿أَوَّلَمْ نَحْتَ أَرْجُلَكُمْ﴾) قال النبي صل: أعود بوجهك . قال ﴿أَوَلَيَسْكُمْ شِيعًا﴾ (الأنعام: ٦٥). فقال

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٦)، ومسلم برقم (٢٦٥٢).

النبي ﷺ: هذا أيسر) ^(١).

اليدان :

وهي صفة ذاتية خبرية لله عز وجل وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاكُمْ بِمُسْوَطَاتِنِ يُنْقِعُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (المائدة: ٦٤). وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَأَيُّلِيلُسْ مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَسْجُدُوا لِمَا حَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص: ٧٥). ومن السنة حديث أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: (إن الله يحيط بيده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويحيط بيده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) ^(٢).

العينان :

وهي صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيْهِ ﴾ (طه: ٣٩). وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْنَعَ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (هود: ٣٧). ومن السنة حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أبور العين اليمى كأن عينه عنبة طافية) ^(٣).

القدم :

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب عز وجل بالأحاديث الصحيحة. ومن ذلك

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٦).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٥٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤٠٧) ومسلم برقم (٢٩٣٣).

حديث أبي هريرة في تجاجع الجنة والنار وفيه: (... فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله، تقول قط قط فهنا لك تمتلي ويزوي بعضها إلى بعض ...). وفي بعض الروايات في الصحيحين (فيضع قدمه على ^(١)ها .. ^(٢)).

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة لا تحصى وإنما هذه أمثلة ويجب على المسلم إثباتها لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكماله، كما أثبتتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته وهو أعلم الخلق بربه وأكملهم نصحاً وأفصحهم وأبلغهم بياناً وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله من صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقين لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٥٠) ومسلم برقم (٢٨٤٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٤٨، ٤٨٤٩) ومسلم برقم (٢٨٤٨).

المبحث الثالث

قواعد في باب الأسماء والصفات

القاعدة الأولى : القول في الصفات كالقول في الذات

وبيانها : أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفات، ولا أفعاله.

إذا كان الله ذات حقيقة لا تمثل الذوات بلا خلاف فكذلك الصفات

الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقة لا تمثل سائر الصفات

فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة ينافش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فإن

إثبات الذات للرب عز وجل محل إجماع الأمة.

إذا قال قائل : لا أثبتت الصفات لأن في إثباتها تشبيهاً لله بخلقه.

يقال له : أنت تثبت لله ذاتاً حقيقة وتثبت للمخلوقين ذواتاً أفاليس هذا

تشبيهاً على قولك !! فإن قال: إنما أثبتت ذاتاً لله لا تشبه الذوات ولا يسعه

غير هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كانت الذات لا تشبه

الذوات وهو حق فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال :

كيف أثبتت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا : له كما ثبت ذاتاً لا تعلم كيفيتها.

القاعدة الثانية : القول في بعض الصفات كالقول في بعضها

آخر

وشرحها : أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبات والنفي

كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينارع في صفة الحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازاً فيقال له: لا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن كنت تثبت له حياة وعلماً وقدرة وسمعاً وبصراً لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين يتصرفون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له حبة ورضاً وغضباً كما أخبر هو عن نفسه من غير مشاهدة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

القاعدة الثالثة : الأسماء والصفات توقيفية

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجوب الوقوف على النص. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ (الإسراء: ٣٦). وقد كان أئمة الإسلام على هذا المنهج. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث). وقرر بعض أهل العلم أن العلم بالشيء حتى يمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيته، أو رؤية مثيله، أو وصفه من يعرفه. وعلمنا بربنا وأسمائه وصفاته محصور في الطريق الثالث وهو وصفه من يعرفه وليس أحد أعلم بالله من الله ثم رسّله

الذين أوحى إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاته إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصله وليس له مثيل من خلقه فهو صفات بوصفه، تعالى ربنا وتقدس.

القاعدة الرابعة : أسماء الله كلها حسني

أسماء الله كلها حسني أي بالغة في الحسن غايتها. قال تعالى: ﴿وَإِلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الأعراف: ١٨٠) وذلك لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول وهو الله عز وجل ولأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديرأً.

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعده ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها. ومثال آخر: (العليم) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان. قال تعالى ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنَسِّي﴾ (طه: ٥٢) العلم الواسع الخيط بكل شيء جملة وتفصيلاً سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه. كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَلْقَهُ الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩). والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراد، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى آخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في

العزيز والحكم والحكمة في الحكيم. والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً كما يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويحقر، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعجز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعترضهما الذل. هذا والله أعلم.

وفي ختام هذا الباب نشير إلى جملة من الفوائد والشمرات التي يجنيها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فمن ذلك :

- ١ - أن العبد ينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بل إن السعادة في الدارين متوقف الحصول عليها على الإيمان بالله، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته وألوهيته.
- ٢ - أن إيمان العبد بربه وأسمائه وصفاته هو أعظم أسباب خوفه سبحانه وخشيه وتحقيق طاعته، فكلما كان العبد بربه أعرف كان إليه أقرب، ومنه أخشي، ولعبادته أطلب، وعن معصيته ومخالفته أبعد.
- ٣ - أن العبد ينال بذلك طمأنينة قلبه، وراحة نفسه، وأنس خاطره، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة. والله تعالى يقول ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمَّئِنُ قُلُوبُهُمْ يَذِكِّرُ اللَّهَ الَّذِينَ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).
- ٤ - أن نيل ثواب الآخرة متوقف على الإيمان بالله وصحته، فبتحقيقه وتحقيق لوازمه ينال العبد ثواب الآخرة فيدخل جنة عرضها السماء والأرض فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وينجو من النار وعذابها الشديد، وأعظم من ذلك كلّه أن يفوز برضى رب سبحانه فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ يوم القيمة بالنظر إلى

وجهه الكريم في غير ضراء مضره ولا فتنه مضلة.

٥- أن الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال ويجعلها مقبولة، فبفقده لا تقبل بل ترد على صاحبها وإن كثرت وتنوعت، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَكُفِرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَيَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ (المائدة: ٥). وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعَيْهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٩).

٦- أن الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي الموعظ النافعة والعبر المؤثرة، ويوحّب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلى الخيرات، ومحابية المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والحصول الكريمة، والآداب النافعة.

٧- أن الإيمان بالله ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم من شرور وحزن وأمن وخوف وطاعة ومعصية وغير ذلك من الأمور التي لابد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلحّؤون إلى الإيمان بالله فيحمدون الله ويشّون عليه ويستعملون نعمته فيما يحب، وعند المكاره والأحزان يلحّؤون إلى الإيمان بالله فيتسلون بما يعلمون وما يتربّ عليه من الأجر والثواب، وعند المخاوف والأحزان يلحّؤون إلى الإيمان بالله فتطمئن قلوبهم ويزداد إيمانهم وتعظم ثقتهم بهم، وعند الطاعات والتوفيق للأعمال الصالحة يلحّؤون إلى الإيمان بالله فيعترفون بنعمته عليهم، ويحرصون على تكميلها، ويسألونه الثبات عليها والتوفيق لقبولها، وعند الواقع في شيء من المعاصي يلحّؤون إلى الإيمان بالله فيبادرون إلى التوبة منها والخلص من شرورها وأوضارها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملحوظون إلى الإيمان بالله وحده.

٨ - أن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته توجب محبة الله في القلوب إذ أن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جابت على حب الكمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال وتحققت الحكمة التي خلق العبد من أجلها وهي عبادة الله.

٩ - أن العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بانفراد الله تعالى بتصريف شؤون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له وهذا مما يتحقق صدق التوكل على الله في جلب المصالح الدينية والدنيوية وفي ذلك فلاح العبد ونجاحه فمن توكل على الله فهو حسيبه.

١٠ - إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا، وهي إما علم بما كونه، وإما علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهو ما مرتبط بها ارتباط المقتضى بمقتضيه. فمن أحصى أسماء الله كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم.

الباب الثاني:
بقية أركان الإيمان
وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول:
الإيمان بالملائكة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الملائكة وأصل خلقتهم وصفاتهم وبعض
خصائصهم.

المبحث الثاني : منزلة الإيمان بهم وكيفيته وأدلة ذلك.

المبحث الثالث : وظائفهم.

المبحث الأول

تعريف الملائكة وأصل خلقهم، وصفاتهم، وخصائصهم

تعريفهم :

الملائكة: جمع ملَكٍ. أخذ من (الْأَلْوَحِ) وهي : الرسالة.
 وهم: خلق من مخلوقات الله، هم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكيل والتمثيل والتصور بالصور الكريمة، ولهن قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد احتارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

أصل خلقهم :

والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي «النور». فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور. وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)^(١). والمأرج هو: اللهب المختلط بسواد النار.

صفاتهم :

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها فمن ذلك:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦).

أهم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَّاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوَّدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ﴾ (التحريم:٦). وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام ﴿عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَّى﴾ (التحمٰ:٥). وقال في وصفه أيضاً ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ (التكوير:٢٠).

وهم موصوفون بعظام الأجسام والخلق. ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وقد سالت النبي ﷺ عن معنٰ قوله تعالى ﴿وَلَقَدْرَاءَهُ بِالْأَفْقِ الْمَبِينِ﴾ (التكوير:٢٣) فقال: (إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظيم خلقه ما بين السماء إلى الأرض)^(١).

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم)^(٢)، قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد.

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام)^(٣) قال الهيثمي في الجمع: رجاله رجال الصحيح.

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٧).

(٢) مسنـد الإمام أـحمد: (١/٣٩٥)، و(٦/٢٩٤).

(٣) سنـن أبي داـود: (٥/٩٦)، برقم (٤٧٢٧).

ومن صفاتهم أعلم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جنحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رَسُلًا أُولَئِيْ أَجَنِحَةٍ مُشْتَقَّةٍ وَثَلَاثَ وَرَبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (فاطر: ۱).

ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعالى في حق جبريل عليه السلام ﴿عَمَّهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَ﴾ (النجم: ۶۰، ۵) قال ابن عباس رضي الله عنهم (ذو مرة: ذو منظر حسن) وقال قتادة: (ذو خلق طويل حسن).

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتها ليوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكَبَرْنَاهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلنَ حَشْ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ۳۱) وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أعلم كرام أبرار. قال تعالى ﴿يَأَيُّدِيْ سَفَرَةَ * كَرَامَ بَرَّةَ﴾ (عس: ۱۵، ۱۶) . وقال عز وجل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَفْظِينَ * كِرَاماً كَثِيرِينَ﴾ (الانفطار: ۱۰، ۱۱).

ومن صفاتهم الحياة لقول النبي ﷺ في حق عثمان رضي الله عنه: (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) ^(۱).

ومن صفاتهم أيضا العلم. قال تعالى في خطابه للملائكة ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

(۱) صحيح مسلم برقم (۲۴۰۱).

مَا لَأَنْعَلَمُونَ》 (البقرة: ٣٠) فأثبتت الله عز وجل للملائكة علمًا وأثبت لنفسه علمًا لا يعلمونه. وقال تعالى في حق جبريل عليه السلام 《عَلَمَهُ شَدِيدٌ الْقُوَى》 (النجم: ٥) قال الطبرى: (علم محمدًا ﷺ هذا القرآن جبريل عليه السلام) أ.ه، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم. إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

خصائصهم :

للملائكة عليهم السلام خصائص وصفات قد اختصهم الله تعالى بها، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات. فمنها: أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذاً لأمر الله في الخلق وما أنسد إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: 《يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ》 (النحل: ٢) وقال تعالى: 《وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيْكَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ》 (الزمر: ٧٥). وعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ﷺ: (يتغذون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يرجع الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأنيناهم وهم يصلون^(١)). والنصوص في هذا كثيرة جداً يصعب حصرها هنا.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٥)، وصحيف مسلم برقم (٦٣٢).

ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالأئنة، قال تعالى منكرا على الكفار ذلك: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلِائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُهُمْ بِخَلْقِهِمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف: ١٩). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلِائِكَةَ سَمِيَّةَ الْأَئِنَّ ﴾ (النجم: ٢٧).

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفهم: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (التحرير: ٦). وقال أيضاً ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنباء: ٢٧).

ومن خصائصهم أيضاً أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسامون. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِدُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنباء: ١٩، ٢٠). وقال في آية أخرى: ﴿ فَإِنِّي أَسْتَكِبُرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْعَمُونَ ﴾ (فصلت: ٣٨).

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون النقلين من الإنس والجن. وبالجملة فالملايك جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكوينهم عن الإنس والجن. كما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم.

المبحث الثاني

منزلة الإيمان بهم :

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته.

قال تعالى: ﴿ إِمَّا مَنْ أَنْزَلَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَّا مَنْ يُلْهِهِ رَبُّهُ وَمَلَكِتِكَنِهِ وَكُنْهِهِ وَرَسُلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٨٥) فأنخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امثلوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿لَيْسَ اللَّهُ أَنْ تَوْلُوا وُجُوهَكُمْ قِبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ مَنْ إِمَانَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ أَخْرِي وَالْمَلِئَكَةَ وَالْكِتَبِ وَالْبَيْتَ﴾ (آل عمران: ١٧٧). فجعل الإيمان بهذه الخصال دليلاً على البر - والبر اسم جامع للخير - وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كما أخبر الله عز وجل في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله: فقال: ﴿وَمَن يُكْفِرُ بِاللَّهِ وَمَلِئَتْ كَتَهُ، وَكُثُرَهُ، وَرُسُلَهُ، وَأَلْيَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ لَا يَعْيَدُ﴾ (النساء: ١٣٦) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان،

ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحاً في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رض قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأنسد ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة، وتومني الزكاة وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتومن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها. وأن ترى الحفاة العرابة، العالة، رعاة الشاء، يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم^(١).

فهذا حديث عظيم اشتمل على أصول الدين ومراتبه كلها وهو من هج

(١) صحيح مسلم برقم (٨).

فريد في تعليم هذا الدين جاء على طريقة الحوار بين الرسول الملكي، أفضل الملائكة وهو جبريل عليه السلام وبين الرسول الإنساني أفضل البشر، وهو محمد ﷺ، فينبغي لل المسلمين أن يعنوا بهذا الحديث العظيم وأن يستمدوا منه جهم في التعلم والتعليم منه كما كان على ذلك السلف رضوان الله عليهم. وقد تضمن الحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان وهو المقصود هنا .. والله أعلم.

كيفية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لابد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة وهي :

١ - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

٢ - الإيمان بأنهم خلق كثير جداً لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودِ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المذار: ٣١) . أي لا يعلم جنود ربكم وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثراهم. قال بذلك بعض السلف.

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك ابن صعصعة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (... ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف

ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم^(١).
 وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك
 يحرونه)^(٢). فدل الحديث على كثرة الملائكة، فإذا كان البيت المعمور يدخله
 كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم، وجهنم يأتي بها
 يوم القيمة هذا العدد من الملائكة، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال
 أخرى من لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى.

٣- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمه عليهم وشرفهم عنده
 كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا تَخَذُ الرَّحْمَنَ وَلَا سُبِّحَنَهُ، بَلْ عَبَادُ مُكَرُّمُونَ﴾ * لَا يَسْتَقِونَهُ،
 بِالْفَوْلَةِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنياء: ٢٦، ٢٧). وقال جل وعلا
 ﴿يَأَيُّدِي سَفَرَةَ * كِرَامِ بَرَرَةَ﴾ (عبس: ١٥، ١٦). فوصفهم بأنهم مكرمون منه
 سبحانه. وقال تعالى في حقهم ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَيِّحُونَ لَهُ بِإِلَيْهِ
 وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (فصلت: ٣٨) فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف
 لهم، مع مقام التعبد له بلا سامة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من
 كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال: ﴿وَالصَّافَتِ صَفَا * فَلَتَزَجِرَتِ زَجَرًا *
 فَالثَّالِيَتِ ذِكْرًا﴾ (الصفات: ٣-١). وقال عز وجل: ﴿فَالنَّرِقَتِ فَرَقًا *
 فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ (المرسلات: ٤، ٥). وشواهد صور إكرام الملائكة وتنوع
 أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفي على متدير مما يحتم
 تقرير هذا في الشرع والله أعلم.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٤)، واللفظ مسلم.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢).

٤ - اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص: قال تعالى: ﴿الَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: ٧٥). وقال عز وجل: ﴿لَنْ يَسْتَكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ﴾ (السباء: ١٧٢) فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش. وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتح به صلاة الليل فيقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة..).^(١)

وأفضل الثلاثة جبريل عليه السلام وهو الموكل باللوحي، فشرفه بشرف وظيفته. وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسماه بأشرف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣). وقال عز وجل: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ (القدر: ٤). وقد ورد هذا الاسم مضافاً إلى الله تعالى إضافية تشريف. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَّرًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ١٧). وورد مضافاً إلى القدس، قال تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ (النحل: ١٠٢) والقدس هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين.

وما جاء في وصفه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدِهِ الْعَرْشُ مَكِينٍ * مُطَاعٌ مَّمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ٢١-١٩). وقال تعالى ﴿عَامَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٦/١٥٦، والنسائي في السنن: ٣/١٧٣، برقم (١٦٢٥)، ونحوهما مسلم في الصحيح، برقم (٧٧٠)، وابن ماجة، برقم (١٣٥٧).

ذُو مَرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿النجم: ٥، ٦﴾ فوصفه الله تعالى بأنه رسول وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السموات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن).

٥- موالهم والخذل من عدوا لهم لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُهُمْ بَعْضٌ﴾ (التوبه: ٧١) فدخل الملائكة في هذه الآية لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾ (التحريم: ٦). وأخبر جل وعلا عن موالة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَدِيقُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التحريم: ٤) وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُصْلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتَهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الأحزاب: ٤٣). وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْدَمُوا تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْرَبُوا﴾ (فصلت: ٣٠). فوجبت موالة الملائكة على المؤمنين لموافقتهم لنصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَنَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨). فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عادهم فقد عادى ربه.

٦- الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في اسمائه

وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَنْجُذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالَّتِي شَدَّ أَرْبَابًا أَيَّامَ رَبُّكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٠). وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَنْحَذُ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْقِيُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّةِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِذْ أَتَ إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٩). فأخير سبحانه أنه لم يأمر عبادهم وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزعه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أنهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قوة إلا بربهم وخالقهم.

٧- الإيمان المفصل: من جاء التصریح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنّة: كحریل، ومیکائیل، وإسرافیل، ومالک، وهاروت وماروت، ورضوان، ومنکر ونکیر، وغيرهم من جاءت النصوص بتسمیتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: کرقیب وعثید، أو بذكر وظیفته: کملک الموت وملک الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: کحملة العرش، والکرام الکاتین والمولکین بحفظ الخلق، والموکلین بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمر، والملائكة السیاحین، إلى آخر من أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

فيجب الإيمان بذلك إيماناً مفصلاً على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك مما سيأتي بيانه في البحث القادم إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث وظائف الملائكة

الملائكة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيراً من الأعمال الخليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجه. وهم بحسب ما هيأهم الله تعالى له وكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحى من الله تعالى إلى رسالته عليهم الصلاة والسلام وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْهِ الرُّوحُ آتَيْنَاهُ مِنْ أَنْفُسِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْمُتَّدِرِّينَ * يَلِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (الشعراء: ۱۹۳-۱۹۵) وقد تقدم أنه أفضل الملائكة وأكرمه على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته.

ولم يره النبي ﷺ في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، وبقية الأوقات يأتيه في صورة رجل. رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ أَهْلُ الْأَفْوَى مُتَّبِعِينَ ﴾ (التكوير: ۲۲). ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَ هَاجَنَّةِ الْمَأْوَى ﴾ (الجم: ۱۳-۱۵).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن تفسير الآيتين المتقدمتين فقال: (إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطاً من السماء سادداً عظيماً خلقه ما

بين السماء إلى الأرض^(١).

ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام وقد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ، وَرَسُولِهِ، وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَذُولٌ لِّلْكَفَرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨) وهو ذو مكانة عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطتهما على الملائكة، مع أنهما من جنسهما، من قبيل عطف الخاص على العام. وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل أنه يقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ..)^(٢) ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضليين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور: قرن عظيم ينفع فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال: قرن ينفع فيه)^(٣) ورواه أيضاً الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.^(٤)

وأخرج الإمام أحمد والترمذمي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحن جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال:

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٦/٥٦، والنمسائي في السنن: ٢١٣/٢، برقم (١٦٢٥)، ونحوه ما مسلم في الصحيح برقم (٧٧٠)، وابن ماجه برقم (١٣٥٧)..

(٣) المسند: ١٦٢/٢، ١٩٢.

(٤) المستدرك: ٤/٥٨٩، ٢/٥٠٦، واللفظ للحاكم.

قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا^(١) قال الترمذى حديث
حسن. وصححه غيره من أهل العلم.

وينفح إسراويل في الصور ثلاث نفحات: نفحة الفزع، ونفحة الصعق،
ونفحة البعث. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَقَرَعَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنِ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ ﴾ (النمل: ٨٧). وهذه هي نفحة الفزع وقد دل على
النفحتين الآخريين قوله تعالى : ﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾
(الزمر: ٦٨).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت قال تعالى: ﴿ قُلْ
يُنَوِّفُنَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَ لِكُمْ ثُمَّ إِلَيْنَا رَيْسُكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١).
وملك الموت أعون من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، فإن كان محسناً
ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئاً ففي أشعن هيئة.
قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾
(الأعراف: ٦١).

ومنهم الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكره في حديث
خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم
استجابتهم له وفيه يقول النبي ﷺ : (إِذَا أَنَا بِسَحَابَةِ قَدْ أَظْلَلْتِنِي، فَنَظَرْتُ
إِذَا فِيهَا جَبَرِيلٌ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْمَكَ لِكَ وَمَا رَدَوا
عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلِكَ الْجَبَالِ لِتَأْمِرَهُ بِمَا شَاءَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلِكُ

(١) المستد: ٣/٧، وسنن الترمذى: ٤/٦٢٠، برقم (٢٤٣١)، ٥/٣٧٣-٣٧٢، برقم (٣٢٤٣).

الجبال. فسلم علي ثم قال: يا محمد. فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(١). والأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قبيس والذى يقابلة.

ومنهم الملك الموكل بالرحم على ما دل عليه حديث أنس بن مالك
عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكُلُّ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبِّي! نَطْفَةٌ.
يَا رَبِّي! عَلْقَةٌ. يَا رَبِّي! مَضْعَةٌ. إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِي خَلْقَهُ، قَالَ: أَذْكُرْ أَمْ
أَنْشِي؟ شَقِيْ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجْلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ)^(٢).

ومنهم حملة العرش قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَكْلُمُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ
بِمَحْمَدَرَبِهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ أَمْنَوْا ﴾ (غافر: ٧).
وقال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّتَنَبِّهُ ﴾ (الحاقة: ١٧). قال بعض
العلماء: الذين حول العرش هم الملائكة (الكربيون) وهم مع حملة العرش
أشرف الملائكة^(٣).

ومنهم خزنة الجنة. قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ أَتَقْوَرَبُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
زَمَرَّاحَقَ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتُحَتْ أَتْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزَنَتْهَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طَبَشَ
فَادْخُلُوهَا خَلِيلِينَ ﴾ (الزمير: ٧٣). وقال تعالى: ﴿ جَنَّتُ عَدِّنِ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ
صَلَحَ مِنْ أَبَآئِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذَرِيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾
(الرعد: ٢٣).

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١٢٠/٧).

ومنهم حزنة النار عيادةً بالله منها وهم الزبانية. ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَرْنَةٍ حَاهِنَمَ أَدْعُوكُمْ يُخْفِفُ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٩). وقال تعالى: ﴿ فَلَيْدُ نَادِيَهُ، * سَنَدُعُ الْبَبَانَةَ ﴾ (العلق: ١٧، ١٨). وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَحْبَبَ النَّارَ إِلَّا مَلَئِكَهُ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (المثاث: ٣١، ٣٠). وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْيَاهَنَلِكَ لِيَقْضِي عَلَيَّنَارَبِّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنْكُثُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٧). وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه حازن النار ورؤيه النبي ﷺ له، ففي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رأيت الليلة رجلين أتياي فقالا: الذي يوقن النار مالك حازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل) ^(١).

ومنهم زوار البيت المعمور: يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (... ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم) ^(٢).

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنسدوا هلموا إلى

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٤)، واللفظ مسلم.

حاجتكم قال فيحفونهم بأجحتحتهم إلى السماء الدنيا ...)^(١) قال العلماء: وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق. وقد ثبت أيضاً أفهم يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام لما روى أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ : (إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام)^(٢). ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَهُفْظَيْنَ * كَرَامًا كَثِيرَنَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفَعَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ١٠-١٢). وقال تعالى: ﴿ إِذْنَنَّكَ الْمُتَلْقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدُّ * مَا يَفْظُلُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْدُ ﴾ (ق: ١٧، ١٨) قال مجاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

ومنهم الموكلون بفتحة القبر وسؤال العباد في قبورهم وما منكر ونكير. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. أخرج الشیخان من حديث أنس بن مالك رض عن النبي ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، فإنه ليس معه قرع نعالمه أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لحمد رس فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعده من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً)^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٨٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) المسند: ٤٥٢/١، وسنن النسائي: ٤٣/٣، برقم (١٢٨٢)، واللفظ لأحمد.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٧٤)، ومسلم برقم (٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري.

وأخرج الترمذى وابن حبان عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قبر الميت أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ...) ^(١) الحديث. قال الترمذى حديث حسن.

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة من يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالملائكة :

وللإيمان بالملائكة ثمراته العظيمة على المؤمن فمن ذلك :

- ١ - العلم بعظمته خالقهم عز وجل وكمال قدرته وسلطانه.
- ٢ - شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.
- ٣ - محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

(١) سنن الترمذى: ٣٨٥/٣، برقم (١٠٧٣)، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٣٨٦/٧، برقم (٣١١٧)، واللفظ للترمذى.

الفصل الثاني: الإيمان بالكتب المنزلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه.

المبحث الأول : حكم الإيمان بالكتب وأدله.

المبحث الثاني : كيفية الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث : بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى

دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك.

المبحث الرابع : الإيمان بالقرآن وخصائصه.

تمهيد

في تعريف الوحي لغة وشرعًا وبيان أنواعه

التعريف اللغوي :

الوحى في اللغة : هو الإعلام السريع الخفى .
ويطلق الوحي على : الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام . وكل ما
ألقته على غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان وهو لا يختص بالأبياء
ولا بكونه من عند الله تعالى .
والوحى بمعناه اللغوي يتناول :

- ١ - الإلهام الفطري للإنسان كالوحى لأم موسى . قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهَا أُمّ مُوسَىٰ أَنَّ أَرْضَعِيهِ ۚ ﴾ (القصص: ٧) .
- ٢ - الإلهام الغريزي للحيوان كالوحى إلى النحل . قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَيْهَا الْخَلَقَ أَنَّ أَنْجِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُؤْتَأً ۚ ﴾ (النحل: ٦٨) .
- ٣ - الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه . قال
تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَيَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيشًا ۚ ﴾
(مرim: ١١) .
- ٤ - وسوسه الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه . قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ
الشَّيَاطِينَ لَيُوَحِّنُ إِلَيْهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ ۚ ﴾ (الأنعام: ١٢١) .
- ٥ - ما يلقى الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه . قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي
رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةَ أَنِّي مَعَكُمْ فَتِّلْوُ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ ﴾ (الأنفال: ١٢) .

التعريف الشرعي :

هو «إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة».

أنواع الوحي :

لتلقي الوحي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله في سورة الشورى: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَأَيٍ حَجَابٍ أَوْ بِرُسْلٍ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ» (الشورى: ٥١). فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب :

المরتبة الأولى: الوحي المحرد وهو ما يقدنه الله في قلب الموحى إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليله قوله تعالى: «إِلَّا وَحْيًا» (الشورى: ٥١). ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رض عن النبي ص أنه قال: (إن روح القدس نفث في رويعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب) أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في سننه وغيرهم^(١). وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء في المنام كرؤيا إبراهيم عليه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله: «قَالَ يَبْنَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» (الصفات: ١٠٢). وكرؤى النبي ص في بداية البعثة على ما روى

(١) موارد الطمأن (١٠٨٤، ١٠٨٥)، والمستدرك (٤/٢)، وسنن ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن أبي الدنيا في القناعة، والبيهقي في شعب الإيمان (المغني عن حمل الأسفار: ٤١٩، ٨٩٥) والبغوي ج ١٤ برقم ٣٠٤ (٤١١٢).

الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) ^(١).

المربطة الثانية : التكليم من وراء حجاب بلا واسطة كما ثبت ذلك بعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤). وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣). وتكليم الله للأدم. قال تعالى: ﴿فَنَلَقَنَّا إِدْمَ مِنْ رَبِّهِ كَلْمَتٍ﴾ (البقرة: ٣٧). وتكليم الله تعالى لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة. ودليل هذه المربطة من الآية قوله تعالى: ﴿أُوْمَنَ وَرَأَيْ حَجَابٍ﴾ (الشورى: ٥١).

المربطة الثالثة: الوحي بواسطة الملك. ودليله قوله تعالى: ﴿أَوَيْرِسَلَ رَسُولًا فِي وَحْيٍ بِإِذْنِنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى: ٥١). وهذا كنز قول جبريل عليه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، وبلغه جبريل لمحمد ﷺ. قال تعالى : ﴿وَلَهُ لَنَزَّلَ إِلَيْهِ الْحَمْدُ الْعَالِيَنَ * نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٤-١٩٢). وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (التحل: ١٠٢).

وجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال :

(١) صحيح البخاري برقم (٣)، وينحوه في صحيح مسلم برقم (١٦٠).

- ١ - أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلق عليها ولم يحصل هذا إلا مرتين كما تقدم تقريره في الفصل السابق.^(١)
- ٢ - أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال.
- ٣ - أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويختاطبه بالوحي كما أمر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين.^(٢)
- وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين في إجابتة للحارث بن هشام لما سأله رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ : (أحياناً يأتيي مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلماني فأعطي ما يقول)^(٣) متفق عليه. ومعنى فصم: أي أغلق وانكشف.

(١) انظر ص ١١٣.

(٢) انظر ص ١٠٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢)، ومسلم برقم (٢٣٣٣).

المبحث الأول

حكم الإيمان بالكتب وأدلته

تعريف الكتب :

الكتب جمع كتاب. والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا، ثم سمى به المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَبِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ (النساء: ١٥٣) يعني صحيفه مكتوباً فيها.

والمراد بالكتب هنا : الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسليه عليهم السلام. سواء ما ألقاه مكتوباً كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب.

حكم الإيمان بالكتب :

الإيمان بكتب الله التي أنزل على رسليه كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَرَأَوُا رَسُولَهُ وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦). فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورسوله وهو محمد ﷺ

والكتاب الذي أنزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، ثم بين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضلالاً بعيداً وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكتب الله. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الِّرَّأْنَ تُولُوا وُجُوهُكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِّرَّأْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَبِ وَالنَّبِيِّنَ ﴾ (البقرة: ١٧٧). فأخبر عز وجل أن حقيقة البر: هو الإيمان بما ذكر من أركان الإيمان، والعمل بخصال البر الواردة في الآية بعد هذا. وذكر من أركان الإيمان: «الإيمان بالكتاب» قال ابن كثير: هو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء. حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب^(١).

ولتقدير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿ قُولُوا إِنَّا مَاتَكَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا إِنَّا هُمْ وَإِنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَإِنَّا سَبَطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦). فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنزل الله عليهم بواسطة رسوله ﷺ، وما أنزل على أعيان الرسل المذكورين في الآية، وما أنزل على بقية الأنبياء في الجملة وأفهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرسل وكل ما أنزل الله عليهم من الكتب.

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٧/١.

والآيات في تقرير هذا من كتاب الله كثيرة.

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي ﷺ عن أركان الإيمان، فذكر النبي ﷺ في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان. وقد تقدم الحديث بنصه في الفصل السابق فأغنى عن إعادة هنا^(١).

فقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنزلها على رس勒 بالحق والمهدى والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئاً منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

ثمرات الإيمان بالكتب :

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك :

- ١ - شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعناته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.
- ٢ - ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.
- ٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.

(١) انظر ص ٦٠٦.

المبحث الثاني

كيفية الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان. وهي :

١ - التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله عز وجل، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد سبحانه . قال تعالى : ﴿ أَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ * نَزَّلَ عَلَيْنَاكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ الْتُورَةَ وَالْإِنجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا يَأْتِيَنَا عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴾ (آل عمران: ٤٢).

فأخبر الله عز وجل أنه أنزل هذه الكتب المذكورة وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن من عنده وهذا يدل على أنه هو المتكلم بها وأنها منه بدأت لا من غيره، ولذا توعد في نهاية السياق من كفر بآيات الله بالعذاب الشديد.

وقال مخبراً عن التوراة ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتُورَةَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ ﴾ (السائدة: ٤٤) فيبين أنه تعالى هو الذي أنزل التوراة وأن ما فيها من المهدى والنور منه سبحانه. وقال تعالى في سياق آخر مبيناً أن التوراة من كلامه وذلك في معرض إخباره عن اليهود ﴿ أَفَنَظَمَّعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا كُلُّمَا وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَنَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ (البقرة: ٧٥) فكلام الله الذي سمعوه ثم حرفوه هو التوراة. قاله السُّدِّي وابن زيد وجمع من المفسرين.

وقال تعالى في الإنجيل ﴿ وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ (المائدة: ٤٧) أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلام الله.

وقال في القرآن الكريم: ﴿ الرَّبُّكَتُ أَخْرَمَتْ إِيَّاهُمْ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: ١). وقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْفُرَّادَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النحل: ٦). وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَّرَاهُ رُوحُ الْقَدُّسِ مِنْ رَّبِّكَ ﴾ (النحل: ٢٠) . وقال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجَارَكَ فَأَجْرِهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٩). وإنما أمروا أن يسمعوا القرآن الذي أنزله على رسوله ﷺ فهو كلام الله على الحقيقة.

- ٢ - الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالثُّبُوتَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٧٩). وبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر، آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة، أن يأمر الناس أن يتخدزوه إليها من دون الله. وذلك أن كتب الله إنما جاءت بإخلاص العبادة لله وحده.

وقال تعالى مبيناً أن كتبه جاءت بالحق والهدى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرِيدَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ٤٣). وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ (البقرة: ٢١٣). وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرِيدَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ ﴾ (المائدة: ٤٤). وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَىٰ وَنُورٌ ﴾ (المائدة: ٤٦). وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ

فِيهِ الْقُرْءَانُ هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَبَيَّنَتِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ (البقرة: ١٨٥). إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة أن كتب الله تعالى قد جاءت بالهدى والنور من الله تعالى.

٣- الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً فلا تناقض بينها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِيمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨). وقال في الإنجيل: ﴿وَإِنَّنَّا لِإِنْجِيلِ فِيهِ هُدَىٰ وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ (المائدة: ٤٦). فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامه كتب الله من كل تناقض أو تعارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقض والخلل والتعارض كما قال تعالى في وصف القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافاً كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

٤- الإيمان بما سمي الله عز وجل من كتبه على وجه الخصوص، والتصديق بها، وإنذار الله ورسوله عنها. وهذه الكتب هي :

أ) التوراة : وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونُتَ الْأُولَى بَصَارِرَ لِلنَّاسِ﴾ (القصص: ٤٣). وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشیخان من حديث أنس بن مالك ص مرفوعاً: (.. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتَ هُنَاكُمْ وَيُذَكِّرُ خَطِيئَتِهِ الَّتِي أَصَابَهَا وَلَكِنْ أَئْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ

وكلمه تكليما^(١): وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألواح وفي ذلك يقول سبحانه **﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَنَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾** (الأعراف: ١٤٥). قال ابن عباس (يريد ألواح التوراة). وفي حديث احتجاج آدم وموسى من رواية أبي هريرة رض عن النبي ﷺ : .. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده) آخر جاه في الصحيحين من طرق كثيرة^(٢). والتوراة هي أعظم كتب بني إسرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْجَارُ بِمَا أَسْتَحْفِظُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾** (المائدة: ٤٤). وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليهود للتوراة وتبديلها على ما سألي بسط هذا في البحث القادم إن شاء الله.

ب) الإنجيل: وهو كتاب الله الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام . قال تعالى : **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَيْهِ أَثَرَيْهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرِيمٍ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ إِلَيْنِيْلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾** (المائدة: ٤٦).

وقد أنزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقدم في الآية السابقة.

قال بعض العلماء^(٣): لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤١٠)، ومسلم برقم (١٩٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم برقم (٢٦٥٢)، وفي إحداها: «وكتب لك التوراة بيده».

(٣) تفسير ابن كثير (٣٦/٢).

كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأَحْلَّ
كُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران: ٥٠).

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشرة
نبينا محمد ﷺ. قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي أَتَمَّ الَّذِي
يَحْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وقد لحق الإنجيل من التحرير ما لحق التوراة، كما سيأتي بيانه في
المبحث القادم بحول الله.

ج) الزبور : وهو كتاب الله الذي أنزله على داود عليه السلام. قال
تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاؤَدَ زُبُورًا﴾ (النساء: ٦٣). قال قتادة في تفسير الآية: «كنا
نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتحميم لله عز وجل ليس فيه حلال
ولا حرام ولا فرائض ولا حدود».

د) صحف إبراهيم وموسى : وقد جاء ذكرها في موضوعين من كتاب
الله، الأول في سورة النجم في قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَتَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَتَ * أَلَا نَزَّرُ وَازِرَةً وَزَرَخَرَى * وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَنِ إِلَّا
مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٦-٣٩). و الثاني في سورة الأعلى ، قال تعالى: ﴿قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ أَسْمَرِيهَ، فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى
* إِنَّ هَذَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: ١٤-١٩). فأخبر
الله عز وجل عن بعض ما جاء في هذه الصحف من وحيه الذي أنزله
على رسولي إبراهيم وموسى عليهما السلام. والعلم عند الله.

هـ) القرآن العظيم : وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، وهو آخر كتب الله نزولاً وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانت دعوته لامة الثقلين من الإنس والجن. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمٌ نَّاعِيَهُ﴾ (المائدة: ٤٨) ومهيمناً: أي شهيداً على ما قبله من الكتب وحاكمها عليها. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بِبَيْنِكُمْ وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْءَانِ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَنْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٩). وقال عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١). وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتنزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنها، وما قصّ علينا من أخبار أهلها.

٥- الاعتقاد البخاذ بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسليه، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحداً من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١). وقال عز وجل: ﴿يَأَهَلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا بُشِّرَتْ لَكُمْ كَيْثِيرًا إِمَّا كُنْتُمْ تُخْفَوْنَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْقُوْلُونَ كَيْثِيرًا قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ نُورٌ وَكِتَبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ

اللهَ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَكُهُ، سُبْلَ السَّلَامَ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ يَادِنَهُ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥، ١٦﴾ (المائدة: ١٥، ١٦).

وقال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَزَّلْ أَهْوَاءُهُمْ عَمَاجَاءَ كَمِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٤٨). وقال أيضاً ﴿وَإِنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَنَزَّلْ أَهْوَاءُهُمْ وَأَحَدُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُم﴾ (المائدة: ٤٩).

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد حتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخربونكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً، ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه أحمد والبزار والبيهقي^(١) وغيرهم وهو حديث حسن مجموع طرقه. ومعنى متهموكون: متحيرون.

فهذا ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال وسيأتي تفصيل ما يجب اعتقاده في القرآن على وجه الخصوص في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

(١) مسند الإمام أحمد: ٣٨٧/٣، وكشف الأستار: ١٣٤، وشعب الإيمان للبيهقي: ١٧٧.

المبحث الثالث

بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى المنزلة دخلها التحرير وسلامة القرآن من ذلك

تحريف أهل الكتاب لكلام الله :

أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتب الله
المنزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: ﴿أَفَنَظَمْعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
(البقرة: ٧٥). وقال عز وجل: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَاتَ عَنْ
مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦).

وقال تعالى مخبرا عن النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخْذَنَا
مِيَثَاقَهُمْ فَسُوا حَظًا مِّمَّا كَرُوا بِهِ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُتَبَّعُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *
يَتَاهُلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (المائد: ١٤، ١٥).

فدللت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنزلة عليهم.

وقد كان هذا التحرير بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْثُرُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ
هَذَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ لِيَسْتَرُوا بِهِ شَمَانًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَنَّتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ
لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

ودليل النص قوله تعالى: «يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ كَيْدَ أَمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَابِ» (المائدة: ١٥).
وقوله تعالى: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ
قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفِونَ كَثِيرًا» (الأنعام: ٩١).

تحريف التوراة والإنجيل وأدلة ذلك :

هذا ما جاء في تحريف أهل الكتاب لكلام الله وكتبه في الجملة. وأما التوراة والإنجيل خاصة فقد دلت الأدلة مما تقدم وغيرها على وقوع التحريف فيهما.

فمن أدلة تحريف التوراة قوله تعالى: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ
مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفِونَ كَثِيرًا وَعِلْمَتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا إِلَهُكُمْ قُلْ إِنَّ اللَّهَ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ» (الأنعام: ٩١). وجاء في تفسير الآية: (أي يجعلون الكتاب الذي جاء به موسى في قرطيس تضعونه فيها ليتم لكم ما تريدونه من التحريف والتبديل وكم صفة النبي ﷺ المذكورة فيه).

وقال تعالى: «أَفَنَظَمُуُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَنَ
اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ رَمِّنَ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ» (البقرة: ٧٥) قال السدي في تفسير الآية: (هي التوراة حرفوها). وقال ابن زيد: (التوراة التي أنزلها عليهم يحرفوها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلة والباطل فيها حقا).

ودليل تحريف الإنجيل قوله تعالى: «وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَى

أَخْذُنَا مِيَثَاقَهُمْ فَسُوْلُ حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا إِلَيْهِ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
 وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَتَّهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
 كَيْرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوْلُ عَنْ كَيْرٍ
 (المائدة: ١٤-١٥). قال بعض أئمة التفسير في تفسير الآية الأخيرة: (أي يبين ما
 بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا
 فائدة في بيانه^(١).)

فدللت هذه الآيات على وقوع التحرير والتبدل في التوراة والإنجيل.
 وهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحرير
 والتغيير.

سلامة القرآن من التحرير وحفظ الله له وأدلة ذلك :

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحرير
 والتبدل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إياه كما أخبر الله
 عن ذلك بقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ كَرَوْلَ إِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾ (الحجر: ٩). قال
 الطبرى فى تفسير الآية: «قال وإن للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما
 ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه^(٢)». كما
 أخبر الله في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنزييه من
 كل باطل فقال عز من قائل: ﴿لَا يَأْنِي لِبَطْلٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

(١) تفسير ابن كثير ٦٣/٣.

(٢) تفسير ابن حجر ٧/١٤.

حَكِيمٌ حَمِيدٌ ﴿فصلت: ٤٢﴾ . وقال تعالى: ﴿الرَّبُّ كَبِيرٌ أَحْكَمَهُ، إِنَّهُ مِنْ فَصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿هود: ١﴾ . وقال عز وجل: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ * **إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ، وَقُوَّاتُهُ** ﴿القيمة: ١٦، ١٧﴾ .

فدللت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظاً ومعنى بـ دعاء بنزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليماً من كل تغيير أو تبدل. إذ تكفل بتعليمه لنبيه ﷺ ، ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذين حفظوه في الصدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليماً منزهاً من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمسكار، غضا طرياً كما أنزل من الله على رسوله ﷺ .

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلى سر لطيف ونكتة بدعة تتعلق بـ حواز التحريف على التوراة وعدم حوازه على القرآن على ما روى أبو عمرو الداني عن أبي الحسن المتتاب قال: (كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم حاز التبدل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٤٤) فوكيل الحفظ إليهم فجاز التبدل عليهم. وقال في القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) فلم يجز التبدل عليهم. قال: فمضيت إلى أبي عبدالله الحاملي فذكرت له الحكاية فقال: «ما سمعت كلاماً أحسن من هذا».

المبحث الرابع

الإيمان بالقرآن وخصائصه

تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوى والفرق

: بينهما :

القرآن الكريم: هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، ونزل به على خاتم رسله محمد ﷺ بلفظه ومعناه المقبول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبديل.^(١)

والحديث القدسي: هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه باللفظ والمعنى ونقل إلينا آحداً أو متواتراً ولم يبلغ تواتر القرآن^(٢).

ومثاله حديث أبي ذر الغفارى عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربها عز وجل أنه قال: (يا عبادى، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محظماً فلَا تظلموا)^(٣).

والحديث النبوى: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف.^(٤)

والفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوى: أن القرآن متعدد

(١) الطحاوية ١/١٧٢. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص ٢١، وقواعد التحديد لحمل الدين القاسمي ص ٦٥.

(٢) انظر قواعد التحديد لحمل الدين القاسمي ص ٦٥.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٤) مصطلح الحديث لابن عثيمين ص ٧، وقواعد التحديد للقاسمي ص ٦١-٦٢.

بتلاوته معجز في نظمه متعددى به، بحزم مسنه لمحدث، وتلاوته ل نحو جنب، وروايته بالمعنى، وتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حرف منه حسنة والحسنة عشر حسناً. بخلاف الحديث القدسي والحديث النبوى فإنهما ليسا كذلك.

والفرق بين الحديث القدسي والنبوى: أن الحديث القدسي من كلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوى فهو من كلام النبي ﷺ لفظاً ومعنى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوى وذلك لفضل كلام الله على كلام المخلوقين.^(١)

خصائص الإيمان بالقرآن :

الإيمان بكتاب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليها والمتبع به لعامة الثقلين بعدبعثة نبينا محمد ﷺ ونزول هذا الكتاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لابد من تحقيقها للإيمان به بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالاً. وهذه الخصائص هي :

- ١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحداً منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١). وقال تعالى مخيراً على لسان نبيه ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَنْ﴾ (الأنعام: ١٩). وقال تعالى إخباراً عن الجن: ﴿إِنَّا سَيَعْنَاقُنَّا أَنَّا عَجَبًا

(١) انظر قواعد التحديد للقاسمي ص ٦٥-٦٦.

* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَعَمَّا يَهْدِي هُنَّ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الجِنٌ: ٢١﴾.

٢- اعتقاد نسخه جل فيه جميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرَنَاكَ اللَّهَ أَعْلَمُ﴾ (النساء: ٥). وقد تقدم في حديث جابر بن عبد الله رض هي النبي ﷺ أ أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب قوله: (... والذى نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني) ^(١).

٣- ساحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال التي فرضت على أصحابها. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِيَحْدُودُنَّهُمْ مَكْثُورًا عِنْهُمْ فِي الْتَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهِيَّهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحْلُّ لَهُمُ الظَّبَابَ وَتُحَرَّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثُ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَانَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

٤- أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللغطي أو المعنوي. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾ (الحجر: ٩). وقال تعالى: ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢). وقال عز وجل مبيناً تكفله بتفسيره وتوضيحه على ما أراد

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٣٨٧/٣، وغيره.

وشرع: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ، وَقُرْءَانَهُ، * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَإِذَا هُمْ فَرَّأُونَهُ، * شَمَّ إِنَّ عَلَيْنَا يَسِيرَانَهُ﴾^(١) (القيامة: ١٧-١٩). قال ابن كثير في تفسير الآية الأخيرة: «أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهنك معناه على ما أردنا وشرعنا». وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيام، من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يدعوا مجالاً من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألفوا فيه المؤلفات المطلولة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في رسمه وقراءاته، ومنهم من ألف في محكمه ومتناهيه، ومنهم من ألف في مكيه ومدنيه، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نزوله، ومنهم من ألف في أمثاله، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في غريبه، ومنهم من ألف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي تخسد من خلاها حفظ الله لكتابه بما هيأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظاً يقرأ ويفسر غضاً طرياً كما أنزل.

٥- أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلى قيام الساعة، على ما روى الشیخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أو حواه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة»^(١). ومن صور إعجاز القرآن حسن تأليفه وفصحته وبلاعته وقد وقع التحدي للإنس والجنة على أن يأتوا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢).

بمثيله أو ببعضه على مراتب ثلاثة: فقد تحداهم الله على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٤، ٣٢). وقال عز وجل مقرراً عجزهم عن ذلك ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُانُونَ وَالْجِنُونَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ هَذَا الْقَرْءَانُ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (قل لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُانُونَ وَالْجِنُونَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ هَذَا الْقَرْءَانُ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) (الإسراء: ٨٨). ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله بما قدروا. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ، مُفْتَرِيَّتِهِ وَأَدْعُوَمِنْ أَسْتَطْعُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣). ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه مما استطاعوا. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَأَدْعُوَمِنْ أَسْتَطْعُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: ٣٨). فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلغ وجه وأكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحدي، وهو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاثة آيات.

٦ - أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، ودنياهם، ومعاشهم، ومعادهم. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (الحل: ٨٩). وقال تعالى: ﴿مَآفِرَ طَنَافِ الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ٣٨). قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن».

٧ - أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكرة والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾ (القمر: ١٧). وقال تعالى: ﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَذَرُوا إِيمَانَهُ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُفْلُوْ أَلَّا يُنْبَتِ﴾ (ص: ٢٩). قال مجاهد في تفسير الآية الأولى: «يعني هوَنَا قراءته». وقال

السدي: «يسرنا تلاوته على الألسن». وقال ابن عباس: «لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله»^(١). وقد ذكر الطبرى وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفظ للتلاوة وتيسير المعانى للتفكير والتدبر والاتعاظ^(٢)، وهو كذلك كما هو ملاحظ ومشاهد.

- ٨ - أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل. قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨). وقال تعالى: ﴿ شَرَعْ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَفِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْفَرُو فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

- ٩ - أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى: ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا تُشِيدُ بِهِ فَوَادِكَ ﴾ (هود: ١٢٠). وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْ هَاقَ آيٍمُ وَحَصِيدُ ﴾ (هود: ١٠٠). وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ مَائِنَكَ مِنْ لَدُنَنَا ذِكْرًا ﴾ (طه: ٩٩).

- ١٠ - أن القرآن هو آخر كتب الله نزولاً وخاتمتها والشاهد عليها. قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قِلْهَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْمُرْقَانَ ﴾ (آل عمران: ٤٣). وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٣/٨.

(٢) تفسير ابن حجر ٢٧/٩٦.

الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمَنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ (المائدة: ٤٨)

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى مما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملاً. والله تعالى أعلم.

الفصل الثالث:

الإيمان بالرسل

ويحتوي على أحد عشر مبحثاً :

المبحث الأول : حكم الإيمان بالرسل وأدلةه.

المبحث الثاني : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الثالث : كيفية الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع : ما يجب علينا نحو الرسل.

المبحث الخامس : أولو العزم من الرسل.

المبحث السادس : خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته مع

بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق.

المبحث السابع : ختم الرسالة وبيان أنه لانبي بعده.

المبحث الثامن : الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدنته.

المبحث التاسع : القول الحق في حياة الأنبياء عليهم السلام.

المبحث العاشر : معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات

الأولياء.

المبحث الحادي عشر : الولي والولاية في الإسلام.

المبحث الأول

حكم الإيمان بالرسل وأدلته

الإيمان برسول الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْزَلْنَا رَسُولًا إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَنْعَمُ بِاللَّهِ وَمَلَكِكَهُ وَكُلُّهُمْ وَرُسُلُهُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَاتَلُوا سَعِينَا وَأَطْعَنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٥). فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبين أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا بعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعاً.

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصِّيٍّ وَنَكْفُرُ بِعَصِّيٍّ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا ﴾ (النساء: ١٥١، ١٥٠). فأطلق الكفر على من كذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقاً أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة. كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال: ﴿ وَالَّذِينَ أَمْنَوْا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتَيْهُمْ أُجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٢). فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون

بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وقد دل على ذلك حديث جبريل المتقدم بنصه في مبحث «الإيمان بالملائكة» وفيه أن النبي ﷺ أجاب لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ..) ^(١) الحديث. فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

وفي دعاء النبي ﷺ في التهجد عند قيام الليل أنه كان يقول: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاوك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق ...). ^(٢).

فشهادة النبي ﷺ أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة ك بالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بين يدي دعائه وقيامه دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء ومكانته في الدين.

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكبر خصال الإيمان وأن من كذب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيم كفراً صريحاً بمحضه هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

(١) تقدم ص ١١٣

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٩٩).

ثمرات الإيمان بالرسل :

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليابعة على المؤمن فمن

ذلك :

- ١ - العلم برحمـة الله تعالى وعـنـياتـه بـخـلقـه حيث أرسـل إـلـيـهـمـ أـوـلـئـكـ الرـسـلـ الكرـامـ للـهـدـاـيـةـ وـالـإـرـشـادـ.
- ٢ - شـكـرـ اللهـ عـلـىـ هـذـهـ النـعـمـةـ الـكـبـرـىـ.
- ٣ - حـبـةـ الرـسـلـ وـتـوقـيرـهـمـ وـالـشـاءـ عـلـيـهـمـ ماـ يـلـيقـ بـهـمـ لـأـنـهـمـ رـسـلـ اللهـ تـعـالـىـ وـخـلاـصـةـ عـبـيـدـهـ، وـلـاـ قـامـواـ بـهـ مـنـ تـبـلـيـغـ رسـالـةـ اللهـ خـلـقـهـ وـكـمـالـ نـصـحـهـمـ لـأـقـوـامـهـمـ وـصـبـرـهـمـ عـلـىـ أـذـاهـمـ.

المبحث الثاني

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي في اللغة : مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة. قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ (النبا: ٢، ١). وسمى النبي نبياً لأنّه مُحَبِّرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخْبِرٌ ومُحَبِّرٌ. وقيل النبي مشتق من النباوة: وهي الشيء المرتفع. وسمى النبي نبياً على هذا المعنى: لرفعه محله على سائر الناس. قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْناً﴾ (مرثى: ٥٧).

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبراً عن ملكة سبياً: ﴿وَلِلَّهِ مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِمَهْدِيَّةٍ فَنَاظَرُوا مِمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٥).

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها:

أن النبي : هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.
والرسول : هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

والفرق بينهما :

أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونفيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله
ويدعوهم إلى عبادته.

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشرعية جديدة فقد كان يوسف على
ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانوا على شريعة التوراة وكلهم رسل. قال
تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بَالْبَيْتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مَمَاجَأَهُ كُمْ
بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ (غافر: ٣٤).
وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ
وَهَذِرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاؤِدَ زُبُورًا * وَرُسُلًا لَقَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِ
وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِّيمًا ﴾ (النساء: ١٦٤، ١٦٣).

وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا ذَمَّنَهُ اللَّهُ الْشَّيْطَنُ فِي أُمَّتِيهِ ﴾ (الحج: ٥٢) فذكر
الله عز وجل أنه يرسل النبي والرسول. وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي
بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد.
وأما الإرسال المطلق فهو يرسل الرسول إلى عامة الخلق من الكفار
والمؤمنين.

المبحث الثالث

كيفية الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالاً وتفصيلاً.

ف والإيمان المجمل :

هو التصديق الحازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهـم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يبعد من دون الله. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦). وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام ببرة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون. قال تعالى: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس: ٥٢). وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل: ﴿ وَمَنْ أَبَىٰ لَهُمْ وَذَرْرَتِهِمْ وَأَخْوَنَهُمْ وَأَجْنَبَنَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (الأنعام: ٨٨، ٨٧).

وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والمهدى المستبين جاعوا بالبيانات من رهـمـ إلى أقوامـهمـ. قال تعالى حكاية عن أهل الجنة : ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رِّبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (الأعراف: ٤٣). وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْلِبِينَتِ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد: ٢٥). وبأن أصل دعوهـمـ واحدة وهي الدعوة إلى توحـيدـ اللهـ وأما شرائعـهمـ

فمختلفة. قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٥). وقال عز وجل : ﴿ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرِعَةً وَمِنْهَا جَأَ ﴾ (المائد: ٤٨).

وبأكمل قد بلغوا جميع ما أرسلا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق. قال تعالى : ﴿ لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتَلَّغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَهُمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ (الجن: ٢٨). وقال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (السباء: ١٦٥).

ويجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة. قال تعالى : ﴿ قَاتَلَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ تَخْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكُنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (ابراهيم: ١١). وقال تعالى عن نوح : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ (هود: ٣١). وقال عز وجل أمراً نبينا محمدًا ﷺ أن يقول لقومه : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (الأنعام: ٥٠).

وما يجب اعتقاده أيضاً في حق الرسل أنهم منصورو مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم. قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَنْصُرُ رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَعْلَمُ الْأَشْهَدُ ﴾ (غافر: ٥١). كما يجب اعتقاد تقاضل الرسل على ما أخبر عز وجل في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٥٣).

فيجب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنّة عن الرسل على وجه العموم إيماناً بمحلاً.

وأما الإيمان المفصل :

فيكون بالإيمان بمن سمي الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته منه —، إيماناً مفصلاً على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا إِتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ رَفِعَ دَرَجَتِهِ مَنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حِكْمَةٌ عَلَيْهِ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ دُرْيَتِهِ دَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَلِكَ بَعْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسُ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلَّا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَالَمِينَ » (الأنعام: ٨٢-٨٦). وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: « وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا » (الأعراف: ٦٥). وقال: « وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعَيْبًا » (الأعراف: ٨٥). وقال: « إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَّ مَادَمَ وَنُوحًا » (آل عمران: ٣٣). وقال: « وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ » (الأنبياء: ٨٥). وقال: « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ » (الفتح: ٢٩). فيحب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيماناً مفصلاً، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم، كالتخاذل الله إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم

خليلين لقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥). ولقول النبي ﷺ: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) أخرجه مسلم^(١). وكتكيلم الله تعالى لموسى لقوله تعالى: ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤). وكذلك تسخير الجبال والطير للداود يسبحون بتسييحه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَّ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنباء: ٧٩). وإلانة الحديد للداود كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءاتَيْنَا دَاؤُدَ مِنَ الْفَضَّلَاتِ يَجْبَلُ أَوْيَافَ مَعَهُ وَالْطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْحَادِيدَ﴾ (سبأ: ١٠). وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قال تعالى: ﴿وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدوًا هَاشِرًا وَرَوْحًا هَاشِرًا وَأَسْلَنَاهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ (سبأ: ١٢). وتعليم سليمان منطق الطير، قال تعالى: ﴿وَوَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاؤُدَ وَقَالَ يَتَأَيَّهَا أَنَّا نَأْشُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (آل عمران: ١٦).

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله عز وجل في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم. كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قصص الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيماناً مفصلاً بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم.

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

المبحث الرابع

ما يجب علينا نحو الرسل

يجب على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنزلهم الله من المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلة عنده، وما شرفهم به من المهام النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

١ - تصديقهم جمِيعاً فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطْكَأَعْيَادَرْبِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤). وقال تعالى: ﴿وَاطِبِعُوا أَنَّهُ وَاطَّبِعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ قَوَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢). وقال عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِإِلَهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصِّيٍّ وَنَكْفُرُ بِعَصِّيٍّ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ (النساء: ١٥١، ١٥٠). فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا به من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم.

وما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسل السابقين بعد بعثة محمد ﷺ المعمود للناس كافة، إذ أن شريعته جاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ أَإِسْلَمَ دِينَنَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ

فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٨٥﴾ (آل عمران: ٨٥). وقال تعالى: **«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
كَافَّةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنُذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٢٨﴾ (سبأ: ٢٨).
وقال تعالى: **«قُلْ يَكَانُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ..** ﴿١٥٨﴾ (الأعراف: ١٥٨).

٢ - موالاتهم جميعاً ومحبتهم والحد من بغضهم وعداوهم.

قال تعالى : **«وَمَنْ يَتُولَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلَبُونَ** ﴿٥٦﴾ (المائدة: ٥٦). وقال تعالى : **«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أَوْلَاءُهُنَّ بَعْضٌ** ﴿٧١﴾ (التوبه: ٧١). فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم البعض فدخل في ذلك رسول الله الذين هم أكمل المؤمنين إيماناً وعليه فإن موالتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعه درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسleه وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بيتهما في العقوبة والجزاء. فقال عز من قائل: **«مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجِنِّيهِ وَمِنْ كُلِّ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ
الْكُفَّارِيْنَ** ﴿٩٨﴾ (البقرة: ٩٨).

٣ - اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تناول بالاجتهاد والعمل. قال تعالى: **«أَللَّهُ
يَصُطُّفِي مِنَ الْمَلَئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴿٧٥﴾ (الحج: ٧٥). وقال تعالى: **«وَتِلْكَ حُجَّتَنَا إِنَّهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرَفَعُ دَرَجَتِي مَنْ نَشَاءُ** ﴿٨٣﴾ (الأعراف: ٨٣). إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والمرسلين: **«وَكُلُّاً فَضَلَّنَا عَلَى الْعَالَمِيْنَ** ﴿٨٦﴾ (الأعراف: ٨٦). وقد تقدم نقل هذا السياق في

المبحث الأول من هذا الفصل.

كما دلت السنة أيضاً على أن منزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق لما رواه الشيوخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)^(١) وفي رواية للبخاري: (من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)^(٢). قال بعض شراح الحديث: «إنه ﷺ قال هذا زجراً أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن العزيز من قصته». وبين العلماء: «أن ما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخاص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصته في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَذَا الْنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَلَمَّا أَنَّ لَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ * فاستجينا اللهم وبخينه من الغم و Kendall نثحي المؤمنين⁽³⁾» (الأنبياء: ٨٧، ٨٨). وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... الْآيَات﴾ (الصفات: ١٣٩-١٤٨).
٤ - اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأفهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُنَا فَضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (القرآن: ٢٥٣). قال الطبراني في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلتهم بعضهم على بعض، فكلمت بعضهم كموسى ﷺ ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعه المنزلة». فإنزال كل واحد منهم منزلته في الفضل والرفع بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤١٦)، ومسلم برقم (٢٣٧٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٠٤).

٥- الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقاءه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعالى عن نوح: ﴿وَرَكِنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمَيْنَ﴾ (الصفات: ٧٩، ٧٨). وقال عن إبراهيم: ﴿وَرَكِنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصفات: ١٠٩، ١٠٨). وقال عن موسى وهارون: ﴿وَرَكِنَّا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرَةِ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الصفات: ١٢٠، ١١٩).

وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصفات: ١٨١). قال ابن كثير: «قوله تعالى ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمَيْنَ﴾ (الصفات: ٧٩) مفسراً لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف». وقد نقل الإمام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها. قال: «أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ. وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالاً وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء».

فهذه طائفة مما يجب للرسل من حقوق على هذه الأمة مما دلت عليه النصوص وقرره أهل العلم. والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس

أولو العزم من الرسل

أولو العزم من الرسل هم : ذtero الحزم والصبر. قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

وقد اختلف العلماء فيهم. فقيل المراد بأولي العزم هم جميع الرسل. و«من» في قوله ﴿ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ لبيان الجنس لا للتبسيط. قال ابن زيد: «كل الرسل. كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل».

وقيل هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم. قال ابن عباس: «أولو العزم من الرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى». وبهذا القول قال مجاهد وعطاء الخراساني، وعليه كثير من متأخري أهل العلم.

وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه استدل لهذا القول. الأول في سورة الأحزاب. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيقَاتَهُمْ وَمِنَكُمْ وَمِنْ قُرْبَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيقَاتًا غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب: ٧). والثاني في سورة الشورى.

قال تعالى : ﴿ شَرَعْ لَكُم مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّيْ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَفْعُلُوا الَّذِينَ وَلَا نَقْرَئُ وَأَفْلِيهُ ﴾ (الشورى: ١٣).

قال بعض المفسرين: «ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل لكوفهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل».

وهو لاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم). وخيرهم محمد صلوات الله عليه وصلى الله وسلم عليهم أجمعين^(١). وأفضلهم محمد صلوات الله عليه على ما أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه أنه قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)^(٢).

(١) أخرجه البزار انظر كشف الأستار (٣/١١٤)، والميتمي في المجمع (٨/٥٥٠) وقال: «رجاله رجال الصحيح»،

والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، المستدرك للحاكم: ٢/٥٤٦.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨)، وأبو داود: ٥/٣٨، برقم (٤٦٧٣).

المبحث السادس

خصائص نبينا محمد وحقوقه على أمتة مع بيان أن رؤية النبي في المنام حق

أولاً : خصائصه صلى الله عليه وسلم :

لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمداً ﷺ بكثير من الخصائص والمناقب التي فضله بها على غيره من المرسلين وميزه عن سائر العالمين. ومن هذه الخصائص :

١ - عموم رسالته لكافحة التقليدين من الجن والإنس فلا يسع أحداً منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: «العالمين : الجن والإنس». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجدأً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختّم بي النبيون) ^(١). وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراوي، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣).

أصحاب النار^(١).

٢ - أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَا كَانَ رَسُولًا لِّلَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠). وأخرج الشیخان من حديث أبي هريرة رض عن النبي صلی اللہ علیہ و آله و سلّم قال: (إن مثلی ومثل الأنبياء من قبلی كمثل رجل بنی بیتاً فأشنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)^(٢). وهذه النصوص أجمعـت الأمة سلفاً وخلفاً على هذه العقيدة كما أجمعـت على تكـفـيرـ من ادعـى النـبوـة بـعـدـه صلی اللہ علیہ و آله و سلّم ووجـوبـ قـتلـ مدـعيـها إنـ أـصـرـ عـلـىـ ذـلـكـ. قال الألوسي: «وـكونـه صلی اللہ علیہ و آله و سلّم خـاتـمـ النـبـيـنـ ماـ نـطـقـ بـهـ الـكـتـابـ، وـصـدـعـتـ بـهـ السـنـةـ، وـأـجـعـتـ عـلـيـهـ الـأـمـةـ، فـيـكـفـرـ مـدـعـيـ خـلـافـهـ وـيـقـتـلـ إـنـ أـصـرـ».

٣ - أن الله أيدـهـ بـأـعـظـمـ مـعـجزـةـ وـأـظـهـرـ آـيـةـ وـهـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ، كـلـامـ اللهـ المـحـفـوظـ مـنـ التـغـيـرـ وـالتـبـدـيلـ، الـبـاقـيـ فـيـ الـأـمـةـ إـلـىـ أـنـ يـأـذـنـ اللهـ بـرـفـعـهـ إـلـيـهـ. قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسَانُ وَالْجِنُّ عَلَىَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِلُ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨). وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكَفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ إِيمَانٌ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥١). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رض عن النبي صلی اللہ علیہ و آله و سلّم أنه قال: (ما من الأنبياء نـيـ إلاـ أـعـطـيـ ماـ مـثـلـهـ آـمـنـ).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٥٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٨٦)، واللفظ للبخاري.

عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أو حاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة^(١).

٤ - أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاكُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠). وعن معاوية بن حيدة القشيري رض أنه سمع النبي ص يقول في قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ قال: (إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)^(٢). وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ص في قبة فقال: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)^(٣).

٥ - أنه سيد ولد آدم يوم القيمة. فعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: (أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٤٤٧/٤، والترمذى وقال حديث حسن، والترمذى: ٥/٢٢٦، برقم (٣٠٠١)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٥٢٨)، ومسلم برقم (٢٢١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨). وتقدم صفة ١٠٩.

٦- أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضى بينهم رحمة بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩). وقد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاحد وقتادة وغيرهم. وقال قتادة: «كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيمة». وقد دلت السنة كذلك على شفاعته ﷺ في أهل الموقف كما جاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: (فيأتونني فأنطلق، فأستأذن على ربِي ف يؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربِي وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واسفع تسعف فأحمد ربِي بمحامد علميها ثم أشفع ...) ^(١) الحديث.

٧- أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيمة، ويكون الناس تبعاً له وتحت رايته واحتضن به لأنَّه حمد الله بمحامد لم يحمله بها غيره. ذكر هذا بعض أهل العلم. وقد دلت السنة على اختصاصه بهذه الفضيلة العظيمة. فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيمة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما مننبي يومئذ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم برقم (١٩٣).

آدم فمن سواه، إلا تحت لواطي، وأنا أول من تشق عنه الأرض ولا فخر^(١).

ـ ٨ـ أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى عليه الله بها عشراء، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تتبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سألي الوسيلة حللت له الشفاعة)^(٢).

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه ﷺ، الدالة على علو درجته عند ربه، وسمو مكانته في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدا.

ثانياً : حقوق النبي ﷺ على أمته :

حقوق النبي ﷺ على أمته كثيرة وقد تقدم ذكر بعضها فيما يحب على الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة. وفيما يلي عرض بعض حقوقه الخاصة على أمته، وهي :

ـ ١ـ الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته بجميع الرسالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما

(١) أخرجه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذى ٥٨٧/٥، برقم (٣٦١٥)، وبحسوه الإمام أحمد في المسند: ٢/٣: .

(٢) رواه مسلم برقم (٣٨٤).

فهي عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن: ٨). وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي أَلْمَتَهُ اللَّهُ وَكَلَّمَهُ وَأَتَّبَعَهُ لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨). وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَنْكُمْ بِرَسُولٍ فَحَذِّرُوهُ وَمَا نَهَنُكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾ (الحشر: ٧). وعن ابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويعطوا الزكوة، فإذا فعلوا ذلك عصموه من دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحساهم على الله^(١)).

٢ - وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبتها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: (.. وَئِمَّ اللَّهُ لَقَدْ تَرَكْتُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لِلَّهِ وَهَارِهَا سَوَاءٌ) ^(٢). وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهم يوم أُنْذِرُوكُمْ خُطْبَتِهِ الْبَلِيْغَةَ فَبَيْنَهُمْ مَا أُوجِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا حُرِمَ عَلَيْهِمْ وَأُوصَاهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُمْ: (وَأَنْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ). قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

(٢) سنن ابن ماجة (المقدمة): ٤/١، برقم (٥).

يأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: (اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات) ^(١). وقال أبو ذر رض: (لقد تركنا محمد صل وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما) ^(٢). والآثار في هذا كثيرة عن السلف رحمة الله.

٣- محبته صل وتقليل محبته على النفس وسائر الخلق. والمحبة وإن كانت واجبة لعلوم الأنبياء والرسل إلا أن نبينا صل مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأنبياء والآباء وسائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَفُتُمُوهَا وَتَجَرَّدُتْ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْتَكِنْ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَهَادِ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ ﴾ (التوبه: ٢٤). فقرن الله محبة رسوله صل بمحبته عز وجل وتوعده من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله -توعدهم بقوله : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ ﴾ . وفي الصحيحين من حديث أنس رض قال: قال النبي صل: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) ^(٣). وعن عمر رض أنه قال للنبي صل: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي صل: (لا

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله في حجة النبي صل ، برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه أحد في المسند: ١٥٣/٥ .

(٣) صحيح البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك). فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي. فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر^(١)).

٤ - تعظيم النبي ﷺ وتقديره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي ﷺ التي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْزِزُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: ٩). وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧). قال ابن عباس: «تعزروه: تخلوه. وتقربوه: تعظمه». وقال قتادة: «تعزروه: تنصروه. وتقربوه: أمر الله بتسويفه». وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَقْدِمُوْا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات: ١). وقال عز وجل : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَكُمْ رَسُولُكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (البور: ٦٣). قال مجاهد: «أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تحفهم». وقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثال في تعظيم النبي ﷺ. قال أسامة بن شريك: «أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير». وتعظيم النبي ﷺ واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عياض: «واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتقديره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسننته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آلـه وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته».

(١) رواه البخاري من حديث عبدالله بن هشام برقم (٦٦٣٢).

٥- والصلاحة والتسليم على النبي ﷺ والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمَنُوا صَلَوَاتٍ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وَسَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦). قال المبرد: «أصل الصلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله». وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمَا عن النبي ﷺ أنه قال: (من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرة) ^(١). وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (البحيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل على) ^(٢). والصلاحة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم فهي متأكدة في حق نبينا ﷺ ومن أعظم حقوقه على أمته وهي واجبة عليهم ولذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة على أمته. وقد صرخ العلماء بوجوب الصلاة على النبي ﷺ ونقل بعضهم الإجماع على ذلك. قال القاضي عياض: «اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محمد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاحة عليه، وحمله الأئمة والعلماء على الوجوب وأجمعوا عليه».

٦- الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا البحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه عز وجل.

(١) رواه مسلم برقم (٣٨٤).

(٢) رواه الترمذى ٥٥١/٥ رقم ٣٥٤٦ وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند: ٢٠١/١ .

٧ - تجنب الغلو فيه والحد من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له ﷺ. قال تعالى أمراً نبيه ﷺ أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْبَشَ رَبُّكُمْ كُوَحًا إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَّا هُوَ أَحَدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠). وبقوله: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (الأنعم: ٥٠).

فأمر الله نبيه ﷺ أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس له من مقام الربوبية شيء وليس هو بملك إنما يتبع أمر ربه ووحيه. كما حذر النبي ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإني أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله)^(١). والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ: (أجعلتني الله نداً بل ما شاء الله وحده)^(٢). فحذر النبي ﷺ من الغلو فيه وإنزاله فوق منزلته، مما يختص به رب عز وجل. وفي هذا تنبيه إلى غير ما ذكر من أنواع الغلو فإن الغلو في النبي ﷺ محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي ﷺ التي تصل إلى حد الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥)، وبنحو الإمام أحمد في المسند: ٢٢١.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ١/٢١، وبنحوه ابن ماجة في السنن برقم (٢١١٧).

لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه **الذبح** له أو **النذر** له أو **الطواف** بقبره أو استقبال قبره بصلوة أو عبادة فكل هذا حرام لأنّه عبادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاةَ وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦٢، ١٦٣).

- ٨- ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجهم وموالاتهم جميعاً والخذر من تقصصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم. فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبِّنَا أَعْفِرْنَا وَلَإِخْرَجْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءامَنُوا رَبِّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠). وقال تعالى في حق قرابة رسوله ﷺ وأهل بيته: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (الشورى: ٢٣). جاء في تفسير الآية: «قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودوا قرابتي». وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم **رضي الله عنه** أن رسول الله **ﷺ** قام خطيباً في الناس فقال: (أما بعد ألا أنها الناس. فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى فأحبيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيه الهدى والنور. فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به). فتحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في

أهل بيتي، أذْكُر كُم الله في أهل بيتي)^(١). فأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربهم منه وشرفهم. كما أوصى النبي ﷺ بأصحابه خيراً ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)^(٢) أخرجه الشیخان. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسول الله ﷺ وقرباته وأزواجها وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزين والضلال. قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق». وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ (أي بسوء) فاقسمه على الإسلام».

فهذه بعض حقوق النبي ﷺ على أمته على سبيل الإيجاز والاختصار والله تعالى الهادي لنا ولإخواننا على تأديتها والعمل بها.

ثالثاً : بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق :

دللت السنة على إمكانية رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رأه في المنام فقد رآه.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (من رأني في المنام فقد رأني. فإن

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤١)، واللفظ للبخاري.

الشيطان لا يتمثل بي)^(١) أخرجه مسلم. وفي لفظ آخر أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من رأي في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي)^(٢) قال البخاري قال ابن سيرين: «إذا رآه في صورته». وعن حابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (من رأي في النوم فقد رأى فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي)^(٣) رواه مسلم.

فدللت الأحاديث على صحة رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رأه فرؤيه
صحيحة لأن الشيطان لا يتصور في صورة رسول الله ﷺ على أنه ينبغي أن
يتتبه إلى أن الرؤية الصحيحة لرسول الله ﷺ هو أن يُرى على صورته
الحقيقة المعروفة من صفاته، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة ولذا قال ابن
سيرين: «إذا رآه في صورته» كما تقدم النقل عنه من صحيح
البخاري. ولذا أورد البخاري قول ابن سيرين بعد ذكر الحديث على
سبيل التفسير لمعنى الرؤية في الحديث. ويشهد لهذا ما أخرجه الحاكم من
طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رأيت النبي ﷺ في
المنام. قال: صفة لي. قال: ذكرت الحسن بن علي فشبّهته به. قال: إنه كان
يشبهه^(٤). قال ابن حجر سنه جيد.

وعن أيوب قال: «كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قص عليه رجل

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٦٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٣)، ومسلم برقم (٢٢٦٦).

(٣) مسلم برقم (٢٢٦٨).

(٤) المستدرك: ٤/٣٩٣، وصححه ووافقه الذهبي.

أنه رأى النبي ﷺ قال: صفت لي الذيرأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفها
قال: لم تره» نقله ابن حجر في الفتح وقال: سنه صحيح.

وأما قول النبي ﷺ: (من رأني في المنام فسيراني في اليقظة)، فللعلماء في
تفسير الرؤية في اليقظة أقوال أشهرها ثلاثة :

الأول : أنها على التشبيه والتمثيل وقد دل على هذا ما جاء في روایة
مسلم من حديث أبي هريرة وفيها: (فكأنما رأى في اليقظة).

الثاني : أنها خاصة بأهل عصره من آمن به قبل أن يراه.

الثالث : أنها تكون يوم القيمة. فيكون من رآه في المنام مزيد خصوصية
على من لم يره في المنام. هذا والله تعالى أعلم.

المبحث السابع

فتم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده

تقدّم الحديث عن هذه المسألة مع ذكر الأدلة عليها عند الحديث عن خصائص النبي ﷺ وأنه خاتم النبيين والحديث عن ختم الرسالة هنا هو من جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرة تقريرها عليهم. فمن ثمار هذه العقيدة :

١- استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حياة الأمة ولذا امتن الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعالى: **﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ أَلِإِسْلَامَ دِيْنًا﴾** (السائد: ٣). وقد كان نزول هذه الآية على النبي ﷺ في حجة الوداع قبل وفاته بأشهر بعد أن أكمل الله له التشريع. ولذا كان اليهود يغطّون المسلمين على هذه الآية على ما أخرج الشیخان أن رجلاً من اليهود جاء إلى عمر رض فقال: آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا عشرة عشر يهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال وأي آية؟ قال: **﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾**^(١). وقد أبرز النبي ﷺ هذه الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبّيهه الرسالات قبله بقصر أكمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بها البناء، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصة ولا الرسالات عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه. وقد تقدّم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عن خصائص

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥)، ومسلم برقم (٣٠١٧).

النبي ﷺ فليراجع في موضعه.^(١)

٢- ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ﷺ بعثه نبياً آخر «ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعيته، وأما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفًا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، على أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتبع شريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتبع إلا بهذه الشريعة أصولاً وفروعًا».

٣- القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل، وهذا من أبرز ثارات الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تحصل بها العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكاذبين، ولهذا كان التنبية على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثة في هذه الأمة كلهم يدعى النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيراً للأمة من تصديقهم واتباعهم، كما جاء هذا في حديث ثوبان رضي الله عنه في الفتنة المرفوعة للنبي ﷺ وفيه: (... وإنه سيكون في أمتي ثلاثة كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لانبي بعدى)^(٢).

٤- ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدى، وستكون خلفاء تكثرون). قالوا: فما

(١) انظر ص ١٧٠.

(٢) سنن الترمذى ٤٩٩ / ٤٩ برقم (٢٢١٩) وقال حديث حسن صحيح، وبنحوه أبو داود عن أبي هريرة سنة أبي داود ٤٣٣٤ - ٤٣٣٣ برقم (٣٢٩ / ٤).

تأمرنا؟ قال: (فوا ببيعة الأول فأ الأول وأعطوه حقهم فإن الله سائلهم عما استر عاهم)^(١). فكان مقام الخلفاء في الأمة مقام الأنبياء في بني إسرائيل في سياسة الناس وقيادتهم. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٢). وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع، ولا يزال الله تعالى يجدد لهذه الأمة ما اندرس من معلم دينها على مر العصور والدهور بالأئمة المحددين الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويلي الجahلين، فدين الله بهم قائم غضا طريا على تطاول عهد البعثة وتقادم زمان الرسالة. وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة. وعلى كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه، إلى أن يأتي أمر الله.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٥٥)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٢)، واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود /٤٣١٣ برقم (٤٢٩١)، والحاكم وصححه ووافقه النهي، المستدرك ٥٢٢/٤ .

المبحث الثامن

الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته

تعريف الإسراء لغة وشرعًا :

الإسراء في اللغة : من السرى وهو: سير الليل أو عامته. وقيل: سير الليل كله.

ويقال : سرية، وأسرية. ومنه قول حسان:

أسرت إليك ولم تكن تسرى

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به: الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام بمحنة إلى بيت المقدس بإيليا ورجوعه من ليلته.

حقيقة الإسراء وأدلته :

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق بصحبة جبريل عليه السلام حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماماً، ثم جاءه جبريل بإباء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. وقد دل على الإسراء الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلَامِنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَّكَنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهَ مِنْ مَا يَنْهَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

(الإسراء: ١).

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه من طريق ثابت البناي عن النبي ﷺ قال: (أتيت بالبراق «وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه» قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليلت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإماء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة^(١). ثم ذكر بقية الحديث وعروجه إلى السماء. وقد دل على الإسراء برسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها ما جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله ﷺ جمع من الصحابة نحو الثلاثين رجلاً ثم تناقلها عنهم مالا يحصي عدهم إلا الله من رواة السنة وأئمة الدين.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفاً وخلفاً وانعقد إجماعهم على صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق. نقل الإجماع على ذلك القاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في (لوامع الأنوار). والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقطة لا مناماً. فهذا هو الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم. قال ابن أبي العز الحنفي: (وكان من حديث الإسراء: أنه أسرى بجسده في اليمامة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ..). وقال القاضي عياض مقرراً أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة

(١) صحيح مسلم برقم (١٦٢).

فمن بعدهم: (وذهب معظم السلف وال المسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدرى، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقنادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاحد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبرى وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وقول أكثر المتأخرین من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين).

وقال أحد الحقيقين الأفذاذ في نقهـ لقولـ من زعمـ أنـ الإسراءـ مرتانـ :
(والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعدبعثة. وياعجا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساع لهم أن يظنوـ أنهـ فيـ كلـ مرـةـ تـفـرـضـ عـلـيـهـ الصـلـاةـ خـمـسـيـنـ ثـمـ يـتـرـدـدـ بـيـنـ رـبـهـ وـبـيـنـ مـوـسـىـ حـتـىـ تصـيـرـ خـمـسـاـ ثـمـ يـقـولـ : (أمضـتـ فـريـضـيـ وـخـفـفتـ عـنـ عـبـادـيـ) ثـمـ يـعـيـدـهـاـ فـيـ المـرـةـ الثـانـيـةـ إـلـىـ خـمـسـيـنـ، ثـمـ يـحـطـهـاـ عـشـرـاـ عـشـراـ).

المراجـ وـ حـقـيقـتـهـ :

الحاديـثـ عـنـ المـراجـ هوـ قـرـيـنـ الـحـدـيـثـ عـنـ الإـسـرـاءـ فـيـ النـصـوصـ وـ كـلامـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـلـذـاـ كـانـ مـنـ الـمـنـاسـبـ التـعرـيفـ بـهـ تـتمـيـماـ لـلـفـائـدـةـ.

الـمـراجـ : مـفعـالـ مـنـ الـعـرـوجـ. أـيـ الـآـلـةـ الـيـ يـعـرـجـ فـيـهاـ، أـيـ يـصـعدـ. وـهـوـ بـنـزـلـةـ السـلـمـ لـكـنـ لـاـ نـعـلـمـ كـيـفـيـتـهـ. وـالـمـقصـودـ بـالـمـراجـ عـنـ الإـطـلاقـ فـيـ الشـرـعـ: هوـ صـعـودـ النـبـيـ ﷺـ بـصـحـبـةـ جـبـرـيلـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـ بـيـتـ المـقـدـسـ

إلى السماء الدنيا ثم باقي السموات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السموات على منازلهم وتسلیمه عليهم وترحیبهم به، ثم صعوده إلى سدرة المنتهي، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتکلیم الله له بذلك ثم نزوله إلى الأرض. وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنّة على المعراج. أما الكتاب فقد جاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي ﷺ ليلة المعراج كقوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ رُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَلَوَىٰ * إِذْ يَعْشَىٰ السِّدْرَةُ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ أَيْنَ رَبِّهِ الْكَبُرَىٰ﴾ (النجم: ١٢-١٨). ذكر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله ﷺ ليلة المعراج كرؤيته جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهي، ورؤيته سدرة المنتهي وقد غشاها ما أمر الله. قال ابن عباس ومسروق «غشيها فراش من ذهب».

وقد جاء في السنّة خبر المعراج مفصلاً في أكثر من حديث منها حديث أنس المتقدم في قصة الإسراء والذي سبق نقل ما يتعلق بالإسراء منه ثم قال النبي ﷺ: (ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بأدم فرحب بي ودعا لي بخير. (ثم ذكر عروجه إلى السموات وملاقاته الأنبياء إلى أن قال): ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهي وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيها من أمر الله ما

غشيهما تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إلى ما أوحى. ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ. فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بنى إسرائيل وخبرهم. قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحط عني خمسا. فرجعت إلى موسى. فقلت: حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد. إن هن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ..^(١) الحديث. أخرجه مسلم وقد جاء خبر المعراج بألفاظ متقاربة من حديث مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن عباس في الصحيحين وغيرهما.

تنبيه :

الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ والواجب على المسلم اعتقاد صحتهما وأنهما من ثواب عظيمتان اختص الله بهما نبينا ﷺ من بين الرسل ولا يشرع للمسلم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كل ذلك بدعة منكرة لم يشرعها النبي ﷺ ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقل بها أحد من يقتدى به في العلم.

(١) صحيح مسلم برقم (١٦٢).

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وأمثالها: (من البدع التي أحدثت في دين الله، وأنه عمل غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام ولا ينشئ مثل هذا إلا جاحد مبتدع). وقد قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(١) أي مردود عليه.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٧).

المبحث التاسع

القول في حياة الأنبياء عليهم السلام

دللت الأدلة على موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسى عليه السلام فإنه لم يمت بعد وإنما رفع إلى الله تعالى حيا على ما سأليتني بيانه.

فمن الأدلة على موت الأنبياء قوله تعالى: **﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ ﴾** (القرآن: ١٣٣). وقال تعالى: **﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيْنَاتِ فَإِذَا لَمْ تُمْسِكُوهُ إِذْ هَمَّ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَبْعَثَنَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾** (غافر: ٣٤). وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: **﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِي وَإِلَادَابَةِ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَائِمَهُ ﴾** (سبأ: ١٤). وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه: **﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾** (آل الزمر: ٣٠). قال بعض المفسرين نعيت للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه نفسه ونعيت إليهم أنفسهم ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت. وقال تعالى مخبراً عن موت كل نفس مخلوقة: **﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾** (آل عمران: ١٨٥).

فدللت هذه الآيات على موت الأنبياء وأنهم يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله عز وجل عن عيسى عليه السلام من رفعه إليه كما قال تعالى: **﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَعْسِي إِنِّي مُتَوَفِّيَكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُظَهِّرُكَ مِنْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾** (آل عمران: ٥٥). فدللت الآية على رفع الله تعالى لعيسى بجسده وروحه إلى السماء وأنه لم يمت، وأما الوفاة المذكورة في الآية في

قوله تعالى ﴿مُتَوْفِيكَ﴾ فقد جاء في تفسير الآية أن: «توفيه هو رفعه إليه»، وإلى ذلك ذهب ابن حرير الطبرى. وأكثر المفسرين على أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الرمر: ٤٢). فتقرر بهذا أن عيسى حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موته قبل قيام الساعة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء : ١٥٩) . والموت المذكور هنا هو موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان بعد أن ينزل من السماء فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة في نزول عيسى في آخر الزمان وقد جاءت تلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

ومن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس عليه السلام، فقد ذكر بعض أهل العلم أنه لم يمت وإنما رفعه الله كما رفع عيسى عليه السلام واستدلوا بذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنِي الْكِتَبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقَنِي * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْنَا﴾ (مريم : ٥٦، ٥٧). فعن مجاهد قال: إدريس رفع فلم يمت كما رفع عيسى. وعن ابن عباس قال: رفع إلى السماء فمات بها. وقال آخرون: رفع إلى السماء الرابعة والعلم في ذلك عند الله تعالى. وإنما القصد حصول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلا بد أن يموت لعموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

وأما ما عدا عيسى وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحد من أهل العلم المعتمد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم من النصوص وللواقع المشاهد من موتهم. لكن جاء في بعض النصوص ما أشكل فهمه

على البعض في هذا الباب مثل ما جاء عن النبي ﷺ في أحاديث المراج من رؤيته لبعض الرسل في السماء وتکلیمه لهم على ما جاء في حديث أنس الذي أخرجه الشیخان وفيه: (ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليك.. قال: قد بعث إليك، ففتح لنا. فإذا أنا بأدّم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليك.. قال: قد بعث إليك، ففتح لنا. فإذا أنا بابني الحالة عيسى ابن مريم ويجي بن زكريا صلوات الله عليهمما. فرحا بي ودعوا لي بخير)^(١) إلى آخر الحديث وقد ذكر فيه رؤيا يوسف في السماء الثالثة وإذا هو أعطى شطر الحسن ورؤياه إدريس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة ورؤيته إبراهيم في السماء السابعة مستندا ظهره إلى البيت المعمور وأفهم كلهم رحبا به ودعوا له بخير.

ومثل ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً آدم طوالاً كأنه من رجال شنوة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوعاً الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ..)^(٢) الحديث.

ففهم بعض الناس من هذه النصوص ومن غيرها مما يماثلها عدم موت الأنبياء فاستدلوا بها على ما اعتقادوه من حياة الأنبياء. والحق أن الأنبياء

(١) صحيح البخاري برقم (٣٥٧٠)، ومسلم برقم (١٦٤٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٩)، ومسلم برقم (١٦٥٠).

ماتوا إلا ما وردت به النصوص في حق عيسى عليه السلام وما اختلف فيه من أمر إدريس عليه السلام. وأما من عداهما فقد دلت النصوص على موتهم قطعاً ولا شك في ذلك. وقد سبق نقل الأدلة عليه. وأما ما جاء في الأحاديث من إخبار الرسول ﷺ عن رؤية الرسل ليلة المعراج وما جاء في معناه من النصوص الأخرى فحق ولا تعارض بين النصوص في ذلك. وذلك أن الذي رأاه الرسول ﷺ هي أرواح الرسل مصورة في صور أبدائهم، وأما أجسادهم فهي في الأرض إلا من جاءت النصوص برفعهم، وهذا هو الذي عليه الأئمة المحققون من أهل السنة.

قال أحد الأئمة الراسخين في تحقيق هذه المسألة: (وأما رؤيته غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو بالعكس، فهذا رأى أرواحهم مصورة في صور أبدائهم. قد قال بعض الناس: لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء. لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قيل في إدريس. وأما إبراهيم وموسى، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض).

وعلى أنه ينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالى كما أكرم رسleه برفع أرواحهم إلى السماء فهي تنعم على ما شاء الله فإنه حفظ أجسادهم في الأرض، وحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم على ما ثبت ذلك من حديث أوس بن أوس رض قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على). فقالوا: يا

رسول الله. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول: بلست.
قال: (إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء)^(١).
وبهذا يتبين الحق في هذه المسألة المهمة وما يجب على المسلم اعتقاده فيها
والله تعالى أعلم.

(١) رواه أحمد في المسند: ٤/٨ وأبو داود في السنن ٤٤٣/١ برقم (١٠٤٧) والدارمي في السنن ٣٠٧/١ برقم (١٥٨٠)، وقال الإمام النووي إسناده صحيح.

المبحث العاشر

مجازات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء

التعريف بالمعجزة :

المعجزة : مأخوذة من العجز . وهو عدم القدرة .
جاء في القاموس : ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي
والهاء للمبالغة .

والمعجزة في الاصطلاح : أمر خارق للعادة يجري على أيدي الأنبياء
للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة .

قولنا: خارق للعادة : أخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من
الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية فهي ليست بمعجزات . وقولنا: يجري
على أيدي الأنبياء : أخرج الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأولياء
 فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات، لتابعاتهم للأنبياء ويخرج من باب
أولى ما يأتي به السحر والكهان من الشعوذة فهذه لا تصدر إلا من شرار
الخلق . وقولنا للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة: أخرج ما يدعوه
المتبئون الكذابون من الأمور الخارقة وكذلك السحرة فإنها لا تسلم من
المعارضة بل يعارضها أمثلهم من السحرة لأنها من قبيل السحر والشعوذة .

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء :

ومعجزات الأنبياء كثيرة :
فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من

صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبوها^(١). يقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِلَى شَمُودِ أَخَاهُمْ صَلَّى حَاقَالْ يَنْقُومُ أَعْبُدُهُ وَاللهُ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بِئْنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ إِيمَانٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمْسُوهَا سُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٧٣).

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جعل الله النار التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها برداً وسلاماً عليه. قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرَقُوهُ وَأَنْصُرُوهُ إِلَهُكُمْ إِنْ كُنُتمْ قَعْدِينَ * قُلْنَا يَنْتَنِرُ كُوْنِي بِرَدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا إِيهِ كِيدَافَجَعْنَتْهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨-٧٠).

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا التي كانت تحول إلى حية عظيمة إذا ألقها إلى الأرض. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَلَكَ يَسِيمِينَكَ يَمُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَائِي أَتَوْكَئُ عَلَيْهَا وَأَهْشِيهَا عَلَى غَنِمٍي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى * فَالْقَدْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخْفَ سَنِعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأَوَّلَى﴾ (طه: ٢١-٢٧). ومن معجزات موسى أيضاً أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلا凌 كالقمر من غير سوء. قال تعالى: ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءٍ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ إِيمَانٌ أُخْرَى﴾ (طه: ٢٢).

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٦/٣).

ينفح فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمه - وهو الأعمى - والأبرص فيبرآن بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيحييرون بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً أَطْيَرٍ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١٠).

ومن معجزات نبينا ﷺ القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق. قال تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأُتُوا سُورَةً مِّنْ مِّثْلِهِ، وَأَدْعُوكُمْ شَهَادَةً كُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ٢٣). وقال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُنَّ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨). ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأله أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فرأاه أهل مكة ورآه غيرهم. قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا إِيَّاهُ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ﴾ (القمر: ٢٠، ١). ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِنَلَامِنَ الْمَسَاجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْأَقْصَى﴾ (الإسراء: ١).

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصا معجزات نبينا محمد ﷺ فإن الله أいで بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله وما سقطه هنا إنما هو للتمثيل فقط.

التعريف بالكرامة :

الكرامة : أمر خارق للعادة غير مقترون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب ب الصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.

فقولنا : أمر خارق للعادة : أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال .
وغير مقترون بدعوى النبوة : أخرج معجزات الأنبياء .
ولا هو مقدمة لها : أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقدم النبوة .
ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح .. : أخرج ما يجري على أيدي السحرة والكهان فهو سحر وشعبنة .

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمم الماضية . ومن ذلك ما أخبر الله به عن مريم عليها السلام . قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكِيرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِيمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٣٧) .

ومنها : ما أخبر الله به عن أهل الكهف على ما قص الله ذلك في كتابه .
ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه كان يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته . وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه . وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهمما يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبع ما فيها . وخبيب بن عدي رضي الله عنه كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى وكان يؤتى بعنبر يأكله وليس بمكة عنبرة .

ومر العلاء الحضرمي رض بجيشه فوق البحر على خيولهم فما ابتلت سروج خيولهم. ووقع أبو مسلم الخوارزمي رحمه الله في أسر الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه يصلّي فيها وقد صارت برداً وسلاماً، وغير ذلك كثير مما هو منقول في كتب السير والتاريخ.

الفرق بين المعجزة والكرامة :

الفرق بين المعجزة والكرامة : أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة. بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يدعي النبوة وإنما حصلت له الكرامة باتباع النبي والاستقامة على شرعيه. فالمعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض الأئمة من العلماء : إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقة تدخل في معجزات الأنبياء لأن الكرامات إنما حصلت للولي باتباع الرسول، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه. ومن هذا يتبين أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة على خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنما اصطلاحاً عليهم العلماء فيما بعد وإن كانوا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقرر في النصوص من الحق.

حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات :

الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق. وإنما فالتكذيب بذلك أو إنكار شيء منه رد للنطوق ومصادمة للواقع والخراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين في هذا الباب. والله تعالى أعلم.

المبحث الحادي عشر

الولي والولاية في الإسلام

تعريف الولي والولاية :

الولاية : ضد العداوة. وأصل الولاية : المحبة والقرب. وأصل العداوة: البعض والبعد.

والولاية في الاصطلاح : هي القرب من الله بطاعته.

والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقوى. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ لَا يَحْوِفُ عَنِيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٢، ٦٣).

تفاضل الأولياء :

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقوون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله. فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وأفضل أولي العزم محمد ﷺ - على ما تقدم ذلك في موضعه - ثم إبراهيم عليه السلام. ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقيين.

أقسام أولياء الله :

وأولياء الله على قسمين:

القسم الأول : سابقون مقربون.

القسم الثاني : أصحاب يمين مقتضدون.

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبٌ * خَافِضٌ رَافِعٌ * إِذَا رُحِّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَطَ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَبْتُ الْمَيْمَنَةَ مَا أَصْحَبْتُ الْمَيْمَنَةَ * وَأَصْحَبْتُ الْمَشْمَةَ مَا أَصْحَبْتُ الْمَشْمَةَ * وَأَسْبَقْتُ الْمَسِيقَوْنَ مَا أَسْبَقْتُ الْمَسِيقَوْنَ * أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الواقعة: ١-١٢).

فذكر ثلاثة أصناف. صنفا في النار وهم أصحاب الشمال وصنفين في الجنة وهما: أصحاب يمين وسابقون مقربون. وقد ذكرهما أيضا في آخر هذه السورة وهي سورة الواقعة فقال: ﴿فَامَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَامَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٨٨-٩١). وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء المشهور وهو حديث قدسي يرويه النبي ﷺ عن ربه وقد أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولها فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يطمس بها

ورجله التي يمشي بها، وإن سألي لأعطيه ولئن استعذني لأعيذنها^(١). فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالى بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويترون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحثات. وأما السابعون المقربون فتقرروا إليه تعالى بالنواقل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرامات والمكروهات فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحظمهم رب حباً تماماً وعصمهم من الذنوب واستجاب دعاءهم كما قال تعالى: (ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه ..) إلى آخر ما ذكر في الحديث.

لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئه :

وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا هيئه على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

قال بعض الأئمة المصنفين في الأولياء: (وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحثات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان مباحاً، ولا بخلق شعر أو تقصيره أو ضفراه إذا كان مباحاً. كما قيل لكم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفحش، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢).

بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو :

وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قدرة على التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي الله بل كذاب أفاك ولي للشيطان. والله تعالى أعلم.

الفصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : أشرطة الساعة وأنواعها.

المبحث الثاني : نعيم القبر وعذابه. وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك.

المطلب الثاني : وقوعه على الروح والجسد معاً.

المطلب الثالث : الإيمان بالملائكة منكر ونكير.

المبحث الثالث : الإيمان بالبعث. وفيه مطالب :

المطلب الأول : معنى البعث وحقيقةه.

المطلب الثاني : أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر.

المطلب الثالث : الحوض صفتة وأدلة.

المطلب الرابع : الميزان صفتة وأدلة.

المطلب الخامس : الشفاعة تعريفها وأنواعها وأدلةها.

المطلب السادس : الصراط صفتة وأدلة.

المطلب السابع : الجنة والنار صفتهم وكيفية الإيمان

بهما وأدلة ذلك.

المبحث الأول

أشرات الساعات وأنواعها

تعريف أشراط الساعة :

الأشراط : جمع شرط وهو: العلامة. وقيل أشراط الشيء: أوائله. جاء في لسان العرب: والاشتقاق متقارب لأن علامة الشيء أوله. والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة. قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (الزخرف: ٨٥). والساعة من أشهر أسماء يوم القيمة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسي ذلك اليوم بالساعة: لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشرات الساعة: علاماتها وأمارتها التي تقع قبل قيامها. قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَعْثَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (محمد: ١٨).

أقسام أشراط الساعة :

أشرات الساعة وأمارتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت. منها بعثة الرسول ﷺ على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رض عن النبي ﷺ أنه قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين. وضم السبابة والوسطى)^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١).

ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾ (القمر:١).

ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى على ما أخرج الشیخان من حديث أبي هريرة رض أن رسول الله ص قال: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى)^(١). وقد خرجت هذه النار على ما أخبر النبي ص في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقى المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهل الشام ورأى أهل بصرى - وهي إحدى قرى دمشق -، أعناق الإبل في ضوئها كما أخبر النبي ص.

القسم الثاني : الأمارات المتوسطة : وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

منها أن تلد الأمة ربتها^(٢) وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان على ما جاء في حديث حبريل المشهور الذي أخرجه مسلم وقد تقدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه: (قال فأخربني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخربني عن أماراها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١١٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٢).

(٢) أن تلد الأمة ربتها، الأمة المرأة المملوكة، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر لولده.

(٣) صحيح مسلم برقم (٨).

ومنها خروج دجالين ثلاثة يدعون النبوة كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قربا من ثلاثة كلهم يزعم أنه رسول الله)^(١). وفي سنن أبي داود والترمذى من حديث ثوبان عن النبي ﷺ: (وإنه سيكون في أمي ثلاثة كذابون كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدي)^(٢).

ومنها الخسار الفرات عن جبل من ذهب يقتل الناس عليه على ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعه وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذي أنجو)^(٣) وهذه العالمة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرى : وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت. وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسد قال: (اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذكرة، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنما لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، وأجوج وأمّاجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وأخر ذلك نار تخرج من

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٠٩).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٢٥٢)، وسنن الترمذى برقم (٢٢١٩)، وقال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) رواه مسلم في الصحيح برقم (٢٨٩٤)، وبنحوه البخاري برقم (٧١١٩) وأحمد في المسند ٢٦١/٢.

اليمن تطرد الناس إلى محشرهم^(١). وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على ما سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى هي هذه الثلاث وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف فإنه وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبل العشر العظمى، وهي مقدمة لها، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى من حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخسوف في الذكر على غيرها من العلامات حيث قال ﷺ: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسوف بالشرق وخشوف بالغرب وخشوف في جزيرة العرب والدخان والدجال ..) ^(٢) ثم ذكر بقية العلامات. قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمان النبي ﷺ ذكره ابن وهب ...). وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلاً بأدلتها:

العلامة الأولى : خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما يخرج وقد ملئت الأرض جوراً وظلماماً فيملؤها قسطاً وعدلاً يوافق اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم النبي ﷺ على ما روى أبو داود والترمذى من حديث عبدالله بن مسعود رض عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيته

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلمة^(١).

العلامة الثانية : ظهور المسيح الدجال: وهو رجل من بنى آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجري الله على يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعى الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ...) ^(٢) الحديث. وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهلها ثم ذكر الدجال فقال: (إني أنذركموه وما من نسي إلا قد أنذره قومه لقد أنذرته نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قوله لم يقله نسي لقومه تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور) ^(٣).

العلامة الثالثة : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقضي على الدجال كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقول الله تعالى: «وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ» (الزخرف: ٦١)، وقد استدل بهذه الآية على

(١) سنن أبي داود ٣٠٦/٤ برقم (٤٢٨٢)، واللفظ له، وسنن الترمذى ٥٠٥/٤ برقم (٢٢٣٠)، وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٤٠).

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٠٥٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٩)، واللفظ للبخارى.

نَزَولُ عِيسَى كَثِيرٌ مِّنَ الْمُفَسِّرِينَ وَيَنْقُلُ هَذَا عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ عَلَى مَا أَخْرَجَ
أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ:
(هُوَ خَرْوَجٌ عِيسَى ابْنُ مُرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(١). كَمَا دَلَّتْ عَلَى
نَزَولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ: فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَيُوشَكُنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيمَكُمْ ابْنُ مُرْيَمَ حَكْمًا عَدْلًا فِي كِسْرِ الصَّلِيبِ وَيُقْتَلُ
الخَنْزِيرُ، وَيُضَعُ الْجَزِيرَةُ وَيُفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ
السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِّنَ الدِّنِيَا وَمَا فِيهَا)^(٢).

العلامة الرابعة : خروج يأجوج وmajogج: وَهُمْ خُلُقٌ كَثِيرٌ لَا يَدِينُ لِأَحَدٍ
بِقَتَالِهِمْ قَيْلٌ إِنْهُمْ مِنْ وَلَدٍ يَافِثُ مِنْ وَلَدِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ دَلَّ عَلَى
خَرْوَجِهِمُ الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَقَّ إِذَا فِتَحْتَ يَأجُوجَ وَمَاجُوجَ
وَهُمْ مَنْ كُلَّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هُرِيَ شَخْصٌ
أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (الأنبياء: ٩٦، ٩٧). وَأَخْرَجَ الشِّيخُخَانُ عَنْ زَيْنَبَ بْنَتِ
جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَرَعَا يَقُولُ: (لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِلْعَربِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ فَتْحُ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ وَمَاجُوجَ مِثْلُ
هَذِهِ «وَحْلَقَ بِأَصْبَعِهِ إِلَهَامَ وَالِّي تَلِيهَا ..») ^(٣) الْحَدِيثُ.

العلامة الخامسة : هدم الكعبة وسلب حليةها على يد ذي السويفتين من الحبشة كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكَ السُّنْنَةُ. فَقَدْ أَخْرَجَ الشِّيخُخَانُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي

(١) المُسْنَد: ١/٣١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٢٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٥)، واللفظ لمسلم.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠).

هريرة رض عن النبي ﷺ قال: (يُخرب الكعبة ذو السويفتين من الحبشة) ^(١).
وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (يُخرب الكعبة ذو السويفتين من الحبشة، ويسلبها حليها ويجردتها من كسوتها، ولكأنى أنظر إليه أصيلع أفيض يضرب عليها بمسحاته ومعوله) ^(٢).

العلامة السادسة : الدخان: وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الدخان: ١٠، ١١). ومن السنة حديث حذيفة بن أسيد المتقدم عن النبي ﷺ أنه قال: (إنا لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة) ^(٣) الحديث.

العلامة السابعة : رفع القرآن من الأرض إلى السماء فلا يبقى منه آية في سطر ولا صدر إلا رفعت. وقد دلت على ذلك السنة فقد أخرج ابن ماجة والحاكم من حديث حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك، وليس على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ...) ^(٤).

العلامة الثامنة : طلوع الشمس من مغربها. وقد دلت على هذه الآية

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٩١)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٩).

(٢) المسند: ٢٢٠/٢.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

(٤) سنن ابن ماجة ٢/١٣٤٤، برقم (٤٠٤٩)، والمستدرك للحاكم ٤/٤٧٣ و قال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي..

النصوص من الكتاب والسنّة. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُأْتِي بَعْضُ أَيَّاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانُهَا خَيْرًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨). فقد ذهب جمّع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبرى بعد ذكره لأقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها)^(١)، وروى الشیخان من حديث أبي هريرة رض أن رسول الله صلی الله علیه وسَلَّمَ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)^(٢).

العلامة التاسعة : خروج الدابة: وهي مخلوق عظيم قيل إن طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الحلقة تشبه عدة من الحيوانات وقد دل الكتاب والسنّة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجَنَاهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا إِثْيَانِنَا لَا يُؤْقِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٢) . وروى مسلم عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسَلَّمَ: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)^(٣). وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رض عن النبي صلی الله علیه وسَلَّمَ قال: (خروج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشتري

(١) تفسير ابن حجر ر ٩٧/٨.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦)، وصحّح مسلم برقم (١٥٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٥٨).

الرجل البعير فيقول من اشتريته فيقول: من أحد المخطمين^(١) وقد صلح سند الحديث الهيثمي وغيره من المحدثين.

العلامة العاشرة : خروج نار عظيمة تخرج من عدن تحشر الناس إلى محشرهم وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة السنة كما جاء في حديث حذيفة بن أسد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيه: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)^(٢). وفي رواية من حديث حذيفة (ونار تخرج من قعدها عدن ترحل الناس).

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضت قامت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعة كتابع الخرز في النظام فإذا ظهرت إحداها بعثتها الأخرى. روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رض عن النبي ﷺ قال: (خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام)^(٣).

(١) المسند: ٢٦٨/٥.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

(٣) المعجم الأوسط: ٤٢٨٣، برقم (٤٢٨٣).

المبحث الثاني

نعميم القبر وعذابه

وبحث هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك :

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له من أهل المعصية والفحور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر قول الله تعالى: ﴿يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الْثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (ابراهيم: ٢٧)، فدللت الآية على تشييت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيم. أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الْثَّابِتِ﴾) (١).

ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقْوَمُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا أَلَّا فِرْعَوْنَ أَشَدُ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥، ٤٦)، قال القرطبي: (الجمهور على أن

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٦٩).

هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر). وقال الحافظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور) ^(١).

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّاتٍ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبه: ١٠١)، فقد استدل بها كثير من السلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بالجوع وعذاب القبر، قال: «ثم يردون إلى عذاب عظيم» يوم القيمة). وعن قتادة قال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها على عذاب القبر الإمام البخاري في ترجمته للأحاديث في عذاب القبر ^(٢).

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جداً من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعده حتى يبعثك الله يوم القيمة) ^(٣). وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (لو لا أن لا تدافنوا للدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر) ^(٤). والأدلة على هذا كثيرة من الكتاب والسنة وقد ذكرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

(١) تفسير ابن كثير ج ٧/١٣٦.

(٢) صحيح البخاري باب ما جاء في عذاب القبر، فتح الباري (٣/٢٣١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٨).

المطلب الثاني : وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا :

نعم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جمِيعاً، فتنعم الروح أو تعذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما جمِيعاً كما أنه قد تنعم الروح أو تعذب أحياناً منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفرداً عن البدن. وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعَة، خلافاً لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط على كل حال ولا يتعلّق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُولِي عَنْهُ أَصْحَابَهُ وَإِنَّهُ لِيُسْمَعُ قَرْعًا نَعَلَمُ أَتَاهُ مَلْكَانٌ فِي قِعْدَانِهِ فَيَقُولُانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ (لَحْمَدُهُ) فَأَمَا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَيَقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعِدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلْتَ اللَّهَ بِهِ مَقْعِدًا مِنَ الْجَنَّةِ فِي رَاهِمَةِ جَمِيعِهِ). وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصبح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين^(١). وفي حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم مرفوعاً للنبي ﷺ قال بعد أن ذكر خروج الروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: (فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلْكَانٌ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨).

فيجلسانه فيقولان له من ربك^(١) الحديث، وقد صحح هذا الحديث الحاكم وغيره.

فدل الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جمِيعاً ففي قول النبي ﷺ: (إن العبد إذا وضع في القبر) دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (العبد) مسمى للروح والجسد جمِيعاً، وكذلك تصرِّيحة بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: (يسْمَعُ قرع نعاهم) (فيقعدانه)، (ويضرب بمطارق من حديد) (فيصيح صيحة)، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بالروح والجسد جميعهما.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قد يقع على الروح منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجوف طير خضر ترد أهوار الجنة وتسأكل من ثمارها وتاوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش)^(٢).

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعاً في القبر وقد تنفرد الروح بهذا أحياناً. قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٢٨٧، وسنن أبي داود ٥/٧٥ برقم (٤٧٥٣)، والمستدرك: ٣٧-٣٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٦٦، والحاكم في المستدرك ٢/٨٨، ٢٩٧، وصححه ووافقه الذهبي.

والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعقاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين كما يكون للروح منفردة عن البدن).

المطلب الثالث : الإيمان بالملكين منكر ونکير :

تقدم في مبحث الملائكة ذكر منكر ونکير وأهلهما الملکان الموكلان بسؤال الميت في قبره في معرض الحديث عن وظائف الملائكة. والقصد هنا تقرير الإيمان بهما إيماناً مفصلاً وما يحصل منهما من فتنة المقبورين إذ تقرير هذا هنا فرع عن الإيمان بنعيم القبر وعداته في الجملة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملكين وسُؤلُهما أهل القبور بعد الدفن كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذى وابن حبان عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: (إذا قبر الميت أو قال أحدكم - أتاه ملکان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنکر والآخر النکير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله،أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذرعاً في سبعين..، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدرى: فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التعمي عليه فتلئم عليه فتحتالـف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من موضعه ذلك^(١)). وقد دل على سؤال الملكين أيضاً حديث أنس المتقدم في المطلب السابق.

(١) سنن الترمذى ٣٨٢/٣، برقم (١٠٧١)، وقال حديث حسن غريب والإحسان في تقرير صحيح ابن حبان: ٣٨٦/٧، برقم (٣١١٧).

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اسم الملكين ووصفهما
وسؤالهما المببورين وكيفية ذلك وما يحيي به المؤمن وما يحيي به المنافق
وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب على التفصيل الذي جاءت به
الأحاديث.

وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهب
لذلك البعض أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر من أهل
العلم، والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عام
في كل الأمم وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين وهو مشتمل على جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنا من خلال عدة مطالب تخلصي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به وما يجب على المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

المطلب الأول : معنى البعث وحقيقة :

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى ﴾، (الأعراف: ١٠٣)، أي: أرسلنا.

والثاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فابعث أي أثرته فشار، ومنه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعالى:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ... الآية﴾ (البقرة: ٥٦)، ، أي: أحivedناكم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقتولين التي تحلت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء. قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظِيمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا اللَّهُ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩، ٧٨).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (إن رجلاً حضره الموت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أوروا ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذرؤني في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له)^(١).

فدللت الآية والأحاديث على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمع رفاتها المتحلل حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قادر.

وقد جاء في السنة بيان كيفيةبعث وأن الله ينزل إلى الأرض ماءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشیخان أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (ما بين النافتتين أربعون) قال: أربعون يوماً. قال: أبیت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبیت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبیت، قال: (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلی إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة)^(٢). فقد دل هذا الحديث على كيفيةبعث وأن أهل القبور يقونون في قبورهم أربعين بين النافتتين وهم نفحة الإمامه ونفحةبعث ولم يجزم الرواية بتحديد الأربعين ما هي وهل المراد أربعون يوماً أو شهراً أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرأً من السماء. جاء في

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥)، وصحیح مسلم برقم (٢٩٥٥).

بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى كما تقدم تقريره فتبين بهذا حقيقةبعث ووقته وكيفيته والله أعلم.

المطلب الثاني : أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر :
دل الكتاب والسنة على بعث الله تعالى للأموات وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فمن الكتاب قوله تعالى: « شَمَّ بَعْثَنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (البقرة: ٥٦)، وقوله عز وجل: « مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَنَّكُمْ إِلَّا كَنْفِسٍ وَحَدَّدْتُ إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ بَصِيرًا » (العنان: ٢٨)، وقوله تعالى: « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يَعْتَوْأْلُ بَلَى وَرَبِّي لَبَعْثَنَّنِي لِتُبَوَّنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (التغابن: ٧).

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفع في الصور فيصعب من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفع فيه مرة أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش ..). وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين: (فأكون أول من تنشق عنه الأرض). فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيمة من

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٣)، وغيرهما.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤١٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٧٨).

قبورهم إلى أرض المحسر وفيهما فضيلة للنبي ﷺ لكونه أول من يبعث.

كما دل النظر الصحيح على تقرير البعث وذلك أن البعث هو إعادة للخلق وعلوم لكل عاقل وأن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه وهذا قال الله تعالى في كتابه مقرراً للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشأته الأولى وبأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة من باب أولى، فقال المعارض على البعث كما حكى الله عنه: **﴿مَنْ يُحْيِي الْعَظِيمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾** (يس: ٧٩)، قال تعالى: **﴿فُلْيُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً﴾** (يس: ٧٨)، وقال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتُ عَلَيْهِ﴾** (الروم: ٢٧). فهذا دليل شرعي عقلي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يستطيع ردّه.

المطلب الثالث : الحشر :

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحسر حفاة عراة غرلاً قال تعالى: **﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾** (الكهف: ٤٧)، وقال تعالى: **﴿يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** (ابراهيم: ٤٨).

ومن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلاً^(١)) قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر

(١) غرلاً: غير مختونين.

بعضهم إلى بعض^(١).

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشراً آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوafd هم القائمون الركبان. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُحْشَرُ الْمُتَقِينَ إِلَى الْرَّحْمَنِ وَقَدَا﴾ (مريم: ٨٥).

آخر الطبرى عن علي عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُحْشَرُ الْمُتَقِينَ إِلَى الْرَّحْمَنِ وَقَدَا﴾ قال: (أما والله ما يحشر الوafd على أرجلهم، ولا يساقون سوقاً ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمنتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة)^(٢). وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عمياً وبكماء وصماء. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أَوْ لِئَلَّا كَثَرَ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَيِّلًا﴾ (الفرقان: ٣٤). قال تعالى: ﴿وَنَحْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبَكَمًا وَصُمًّا﴾ (الإسراء: ٩٧).

المطلب الرابع : الحوض، صفتة وأدلته :

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في المحرر يرده هو وأمهه جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاناً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٦٥٢٧)، وصحبي مسلم برقم (٢٨٥٩).

(٢) تفسير الطبرى (٨/ ٣٨٠).

يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآتيته كعدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة. ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر وروها عن النبي ﷺ بضعة وثلاثون صحابياً. منها حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء)^(١). وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: (حوضي مسيرة شهر وزواياه سواه ما يأبه أبیض من اللبن، وريجه أطيب من المسك، وكیزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبداً)^(٢).

والحوض يكون في أرض المبشر ويمد ما به من الكوثر وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا ﷺ في الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوَافِرَ﴾ (الكوافر: ١). وقد اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر فقيل الميزان قبل، وقيل: الحوض. والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم.

المطلب الخامس : الميزان صفتة وأدلته :

ما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان. وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجع بمثقال ذرة من خير أو شر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان.

(١) متفق عليه، صحيح البخاري برقم (٦٥٨٠)، وصحیح مسلم برقم (٢٣٠٣).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحیح مسلم برقم (٢٢٩٢).

قال تعالى: ﴿وَنَصَّعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا ظُلْمُ نَفْسٌ شَيْئًا... الآية﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، * فَأُمَّهُ هَكَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٦-٩).

وأخرج الشیخان عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صلی اللہ علیہ و آله و سلّم: (كلمتان حبیتان إلى الرحمن خفیتان على اللسان ثقلیتان في المیزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظیم)^(١). وروى الإمام أحمد والحاکم وغيرهما عن ابن مسعود رض أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقین فجعلت الريح تکفؤه (أی تحركه) فضحك القوم فقال رسول الله صلی اللہ علیہ و آله و سلّم: (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبی الله من دقة ساقیه. فقال: (والذی نفسي بیده هما اثقل في المیزان من أحد)^(٢) صاححة الحاکم ووافقه الذهبي.

والذی یوزن في المیزان ثلاثة، وقد دلت على ذلك النصوص :

١- الأعمال، فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في المیزان ودل عليه حديث أبي هريرة السابق: (كلمتان حبیتان إلى الرحمن ...) الحديث.

٢- صحف الأعمال، وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلی اللہ علیہ و آله و سلّم قال: (إِنَّ اللَّهَ يَسْخَلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنَشَّرُ لَهُ تِسْعَةُ وَتِسْعِينَ سَحْلًا كُلُّ سَحْلٍ مُثْلِدٌ بِالْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمُكَ كَتَبِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّي. فَيَقُولُ: أَلَكَ عَذْرٌ أَوْ حَسْنَةٌ؟ فَيَبْهِتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ:

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣)، وصحیح مسلم برقم (٢٦٩٤).

(٢) مسند الإمام أحمد ٤٢١-٤٢٠ / ١، والمستدرک ٣١٧/٣.

لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك
اليوم فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله، فيقول: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم^(١).
٣ - العامل نفسه، وقد دل على وزنه قوله تعالى: ﴿فَلَا نُنْقِيْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَنَّا﴾ (الكهف: ١٠٥)، وكذلك حديث عبد الله بن مسعود السابق وأن
ساقيه في الميزان أثقل من أحد.

المطلب السادس : الشفاعة، تعريفها وأنواعها وأدلتها :
الشفاعة في اللغة: الوسيلة والطلب. وفي العرف: سؤال الخير للغير.
والشفاعة عند الله: سؤال الله التحاوز عن الذنوب والآثام للغير.
وحقيقتها أن الله تعالى بلطشه وكرمه يأذن يوم القيمة لبعض الصالحين
من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض
 أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهاراً لكرامة الشافعين عنده ورحمة
بالمشفوع فيهم.

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:
أحدهما: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِنِهِ﴾ (آل عمران: ٢٥٥). وقوله تعالى:
﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عَنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبأ: ٢٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢١٣/٢ وقوله (بسم الله) أي مع اسم الله، والترمذى في السنن ٥/٤٢-٤٣، برقم (٢٦٣٩) والحاكم في المستدرك ١/٦، ٥٢٩ وصححه ووافقه النهبي.

الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى ﴾ (الأنياء: ٢٨). وقد دلت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نسي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمي يوم القيمة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمي لا يشرك بالله شيئاً^(١)). وقال تعالى في الكفار: ﴿ فَأَنَّفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفَعِينَ ﴾ (المدثر: ٤٨).

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنّة على إثبات الشفاعة عند الله يوم القيمة. أما الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها، وأما من السنّة فالآحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (.. فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط)^(٢).

والآحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جداً وقد صرّح الأئمة المحققون بتواترها واشتهرها في كتب الصحاح والمسانيد. ففي الصحيحين: (يُخرج من النار من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان)^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٩٤/٣، وعبدالرازق في المصنف ٤١٠/١١ برقم (٢٠٨٥٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) في حديث طوبيل، وصحيح مسلم برقم (١٨٤).

أقسام الشفاعة :

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، ومقبولة وهي ما تحقق فيها شروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي :

- ١ - الشفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضى الله بينهم وهي المقام الحمود وهذه الشفاعة مما احتضن بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.
- ٢ - شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.
- ٣ - شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.
- ٤ - شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة في الجنة.
- ٥ - شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.
- ٦ - شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عنمن كان يستحقه كشف شفاعته في عممه أبي طالب.

٧ - شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

٨ - شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته من دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها وهي مبسوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد. وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالشفاعة العظمى وشفاعته في عممه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها ومنها ما يشارك فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى على اختلاف بين أهل العلم في

اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

المطلب السابع : الصراط، صفتة وأدلته :

الصراط في اللغة : الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل الخشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَيْ رَيْكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ آتَقْوَا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حَيَاً ﴾ (مريم: ٧٢، ٧١) ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رض وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله صل أنه قال: (.. ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكاللباب وحسكة مفلاطحة لها شوكه عقيفاء تكون بحد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجاويد الحيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكذوس في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا^(١)).

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدق من الشعر وأحد من السيف دحضا مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطي الناس أنوارا على قدر إيمانهم ويرون فوقه على قدر

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣)، واللفظ للبخاري.

إِيمَانُهُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ.

المطلب الثامن : الجنة والنار، صفتهم وكيفية الإيمان بهما وأدلة ذلك :

ما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار.

والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ (السجدة: ١٣-١٥)، والجنة مائة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)^(١). وأعلى الجنة الفردوس الأعلى وفوقه العرش ومنه تتفجر أنهار الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة السابق عن النبي ﷺ قال: (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسْلُوهُ الْفَرْدُوسَ إِنْهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ). وللجنّة ثمانية أبواب كما جاء في حديث سهل بن سعد رض في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: (في الجنّة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون)^(٢)، وقد أعد الله لأهل الجنّة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمرتكبين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مآلهم إلى

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٧).

الجنة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨) وموضعها في الأرض السابعة كذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهم. وللنار دركات بعضها أسفل من بعض، قال عبد الرحمن بن أسلم: (درجات الجنة تذهب علواً ودرجات النار تذهب سفولاً، وأسفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ... الْآيَة﴾ (النساء: ٤٥)، وللنار سبعة أبواب، قال تعالى: ﴿لِمَا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر: ٤٤)، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم على ما جاء في حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشيشخان عن النبي ﷺ قال: (ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم^(١)).

والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

الأول : الاعتقاد الجازم بأنهما حق وأن الجنة دار المتقين والنار دار الكافرين والمنافقين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا يَنْهَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِذُو الْعَذَابِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَنِّهَا حَكِيمًا * وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ بَخْرَى مِنْ تَحْنِنَاهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِنَّ فِيهَا أَبَدًا... الْآيَة﴾ (النساء: ٥٦، ٥٧).

الثاني : اعتقاد وجودهما الآن. قال تعالى في الجنة: ﴿أَعْدَتِ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، وقال تعالى في النار: ﴿أَعْدَتِ لِلْكَافِرِ﴾ (البقرة: ٢٤)، وجاء في الصحيحين من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء^(٢)).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٨٧١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٤١)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٨) مختصرًا معناه، واللفظ للبخاري.

الثالث : اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهم لا تفنيان ولا يفنى من فيهما.

قال تعالى في الجنة: **﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَوَّذِلَكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (النساء: ١٣)،

وقال تعالى عن النار: **﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾** (الجن: ٢٣). والمقصود من المعصية هنا الكفر، لتأكيد الخلود في النار أبداً

بالتأييد، قال القرطبي قوله (أبداً) دليل على أن العصيان هنا هو الشرك^(١).

وروى الشیخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه)^(٢).

ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها :

- ١ - الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
- ٢ - تسليمة المؤمن لعما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.
- ٣ - استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلام بعمله مع رحمته بعباده.

(١) القرطبي ٢٧ / ١٩. وفتح القدير ٥ / ٣٠٧.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٤)، وصحیح مسلم برقم (٢٨٥٠)، واللفظ لمسلم.

الفصل الخامس :
الإيمان بالقضاء والقدر، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع
بيان الفرق بينهما.
المبحث الثاني : مراتب القدر.

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما

تعريف القضاء والقدر :

القضاء لغة : الحكم والفصل.

وشرعنا : هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

والقدر : مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحاطت بمقداره.

والقدر في الشرع : هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك.

الفرق بين القضاء والقدر :

ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشيء قبل قصائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفرق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقاً للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضاء

والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما ~~من~~
الأساس وهو القدر، والآخر ~~من~~ زلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل
بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما
معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلك
بعض أهل العلم.

الأدلة على إثبات القدر :

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة من الكتاب
والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ۴۹)،
وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴾ (الأحزاب: ۳۸)، وقوله تعالى:
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ هُنَّ فَقِيرًا ﴾ (الفرقان: ۲).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها
حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن أركان الإيمان فذكر منها: (الإيمان
بالقدر حيره وشره) وقد تقدم الحديث بنصه في مبحث الملائكة. وروى
مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخالق قبل أن يخلق
السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وكان عرشه على الماء)^(۱).

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم. أخرج مسلم
في صحيحه عن طاوس أنه قال: (أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ

(۱) صحيح مسلم برقم (۲۶۵۳).

يقولون كل شيء بقدر). قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز)^(١)، والكيس: ضد العجز وهو النشاط والخذق بالأمور. قال الإمام النووي: (تظاهرة الأدلة القطعية من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٥).

المبحث الثاني مراتب القدر

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي :

المرتبة الأولى : علم الله بكل شيءٍ من الموجودات والمعدومات والمحكبات والمستحيلات وإحاطته بذلك علماً فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق: ١٢). وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين) ^(١).

المرتبة الثانية : كتابة الله تعالى لكل شيءٍ مما هو كائن إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٠). وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحَصَّيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (بتس: ١٢). ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة : المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (بتس: ٨٢). وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٩). وأخرج

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٩).

الشيوخان من حديث أبي هريرة رض عن النبي صل قال: (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له) ^(١).

المرتبة الرابعة : خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكنه. قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢). وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات: ٩٦). وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي صل: (.. كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض) ^(٢).

فيحب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئاً منها لم يحقق الإيمان بالقدر. والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالقدر :

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثراته النافعة في حياة المؤمن فمن ذلك:

- ١ - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنّه مقدر الأسباب والسببات.
- ٢ - راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره..

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٣٩)، وصحيف مسلم برقم (٢٦٧٩)، واللفظ مسلم.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١٩١).

- ٣ - طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.
- ٤ - طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكرر لآن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

الباب الثالث

مسائل متفرقة في العقيدة

ويتضمن خمسة فصول :

الفصل الأول : الإسلام والإيمان والإحسان.

الفصل الثاني : الولاء والبراء، معناه وضوابطه.

الفصل الثالث : حقوق الصحابة وما يجب نحوهم.

**الفصل الرابع : الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم
ولزوم جماعتهم.**

**الفصل الخامس : وجوب الاعتصام بالكتاب والسنّة والنهي
عن التفرق.**

**الفصل الأول:
الإسلام والإيمان والإحسان**

المبحث الأول : الإسلام.

المبحث الثاني : الإيمان.

المبحث الثالث : الإحسان.

المبحث الرابع : العلاقة بين الإسلام، والإيمان والإحسان.

المبحث الأول : الإسلام

تعريف الإسلام :

الإسلام لغة : الانقياد والاستسلام والخضوع.

وشرعا : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعادة أهله. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُونِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦٢، ١٦٣). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عَبْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

أركان الإسلام :

أركان الإسلام خمسة بينها رسول الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله^(١)). ويدل على هذا حديث جبريل المتقدم وفيه أنه قال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحجج البيت إن استطعت إلى سبيلا. قال: صدقت... إلخ)^(٢).

(١) صحيح البخاري، حديث برقم (٨) صحيح مسلم حديث برقم (١٦).

(٢) تقدم متفق عليه: صحيح البخاري حديث برقم (٨)، وصحيح مسلم حديث برقم (٨).

معنى الشهادتين :

- معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.
- ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

المبحث الثاني : الإيمان وأركانه وببيان حكم مرتكب الكبيرة

تعريفه :

الإيمان لغة : التصديق والإقرار.

وشرعًا : اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

أركانه وأدلته :

أركان الإيمان ستة يدل عليها قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الَّذِي أَنْتُ بِهِ أَعْلَمُ وَجْهِكُمْ قِيلَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالْتَّائِبِ﴾ (البقرة: ١٧٧).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عندما سأله النبي ﷺ وقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت... إلخ) ^(١).

زيادة الإيمان ونقاصه :

دل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. فالدليل من الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آهَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ نَفْوَهُمْ﴾ (محمد: ١٧). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُمْ زَادَهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأناضول: ٢).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري حديث برقم (٥٠)، وصحيف مسلم حديث برقم (٨).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السِّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَّا إِيمَانُهُمْ ﴾
(الفتح: ٤).

ومن السنة قوله ﷺ: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)^(١). وكذلك قوله ﷺ: (الإيمان بعض وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان)^(٢).

حكم مرتكب الكبيرة :

كبار الذنوب نوعان: مُكْفَرٌ وغير مُكْفَرٌ. فأما المُكْفَرُ فهو الشرك بالله لأنَّه أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَّ بِهِ اللَّهُ وَالنَّفَاقُ الاعتقادي وَسُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

والنوع الثاني كبار غير مُكْفَرٌ ولا يخرج مرتكبها من الملة إلا إذا استحلتها. وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحو ذلك.

وقد دل الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة غير المُكْفَرٌ مؤمن ناقص الإيمان، ويسمى فاسقاً وعاصياً.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته وإن شاء عذبه بعدله وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عذب بل مآلاته إلى الجنة بما معه من التوحيد والإيمان. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (السباء: ١١٦).

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٧٥١٠) صحيح مسلم حديث رقم (١٩٣).

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (٥٧).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)^(١).

وهذا الذي دلت عليه النصوص هنا هو الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعיהם على الخير والمهدى في حكم مرتکب الكبيرة وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخوارج قدماً وحديناً الذين يكفرون مرتکب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمه ويعتقدون أنه يوم القيمة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتکب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ولا يفرقون بين مرتکب الكبيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدى الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهب غلاة المرجئة.

الأدلة على أن مرتکب الكبيرة ليس بكافر :

دل القرآن والسنة على أن مرتکب الكبيرة ليس بكافر.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَابَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا إِنْهُمْ مَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمْ عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِئَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ٩٠، ٩١). ووجه الدلالة من الآيتين هو أن الله أثبت الإيمان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٩٢).

بعض الطوائف على بعض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة وأمر تعالى المؤمنين
بالإصلاح بين إخوئهم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يدخل أهل الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ..)^(١).

ووجه الدلالة من الحديث هو عدم تخليل مرتكبي الكبائر في النار حيث يخرج منها من كان في قلبه أدنى شيء من الإيمان كما يدل الحديث على تفاوت أهل الإيمان على حسب أعمالهم وأنه يزيد وينقص بحسب ما يترك المؤمن من واجبات أو يرتكب من محظورات.

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم ١٨٤ .

المبحث الثالث : الإحسان

تعريفه :

الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويحاف عقابه بالمحافظة على الفرائض والنواقل واجتناب المحرمات والمكرورات. والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال

أداته :

من الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُخْسِنُونَ ﴾

(التحل: ١٢٨).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه سأله النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ^(١).

(١) تقدم تخرجه ص ١١٣.

المبحث الرابع العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي ﷺ سؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحد منها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبية. ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين وإذا انفرد الإسلام دخل فيه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وإذا انفرد الإحسان دخل فيه الإسلام والإيمان.

الفصل الثاني: الولاء والبراء : معناه وضوابطه

التعريف :

الولاء : مصدر ولِي بمعنى قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراء : مصدر بَرَى، بمعنى قطع. ومنه برى القلم بمعنى قطعه. والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد :

يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويغضبهم ويتبأوا منهم. قال تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِذَا يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَهُمْ رَاضُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلَبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦، ٥٥). وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشْخُذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَفْلَاهَ بَعْضَهُمْ أَفْلَاهَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١). وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْرَانَهُمْ أَوْ عَيْشَرَتْهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما يتبع عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

مكانة الولاء والبراء في الدين :

إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرى الإيمان. ومعناه توثيق عرى الحجۃ والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) ^(١).

الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء :

المداهنة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرهم وهم على معاصيهم أو كفراً بهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعالى:

﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِ دَوَّعِيسَى ابْنِ مَرِيمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَتَدَوَّنَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَلَعُونَهُ لِيَنْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المائدة: ٧٨ - ٨٠).

المداراة : هي درء المفسدة والشر بالقول للبن وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له. كالارفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتاج إلى تأليفه. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة)، فلما جلس تطلق النبي

(١) رواه الطبراني في الكبير (١١/٢١٥)، والبغوي في شرح السنة (٣/٤٢٩)، بسنده حسن.

في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال ﷺ: (يا عائشة متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء شره) ^(١). فالنبي ﷺ دارى هذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل على أن المداراة لا تتنافى مع المولاه إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتحفيقه، وهذا من مناهج الدعوة إلى الله تعالى. ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًا لهم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

نماذج من الولاء والبراء :

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذَا قَاتَلُوا قَوْمَهُمْ إِنَّا بِرَبِّهِمْ رَءُوفُونَ مَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُنْزٍ وَبِدَائِنَنَا وَبِنِنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضَاءُ أَبْدَاهَنَّ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ» (المتحنة: ٤). وقال تعالى في موالاة الأنصار لإخوائهم المهاجرين: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٣٢).

حكم موالة العصاة والمبتدعين :

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفحور وطاعة ومعصية وسنة وببدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاذة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقه ويعطى من بيت المال ما يكفيه ل حاجته ويتصدق عليه. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية :

دللت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانا بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام وال المسلمين. (فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أرقط هادياً خريتاً^(١)). والخريت هو الخبير بمعرفة الطريق.

ورهن النبي ﷺ درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجر على ﷺ نفسه ليهودية يفتح لها الماء من البئر ففتح لها ست عشرة دلواً كل دلو بتمرة. وقد استعان النبي ﷺ باليهود الذين كانوا في المدينة في قتال المشركين. واستعلن بخزاعة ضد كفار قريش. وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يتلزم الكفار الذين يقيمون بين المسلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم.

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٢٢٦٣).

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المبحث الأول : من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم.

المبحث الثاني : وجوب اعتقاد فضلهم وعadalتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية.

المبحث الثالث : أهل بيت النبي ﷺ وحقوقهم وبيان أن زوجاته من أهل بيته.

المبحث الرابع : الخلفاء الراشدون، فضلهم وما يجب نحوهم وترتيبهم.

المبحث الخامس : العشرة المبشرون بالجنة.

المبحث الأول

من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

تعريف الصحابي :

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على ذلك.

وجوب محبتهم وموالاتهم :

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزع لهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالاطعن فيهم طعن في الدين كله لأنّه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضاً طرياً عن رسول الله ﷺ مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا فدخل الناس في دين الله أفراجاً.

وقد دل الكتاب والسنّة على وجوب موالة الصحابة ومحبتهم وأنّها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبه: ٧١). وإذا كان أصحاب النبي ﷺ مقطوعاً

يأيُّا همْ بِلَهُمْ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَرْكِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَهُمْ فَإِنْ مَوَالِهِمْ وَمُحْبَّتِهِمْ دَلِيلٌ إِيمَانٌ مِّنْ قَامَتْ بِهِ هَذِهِ الصَّفَةِ.

وَمِنَ السَّنَةِ حَدِيثُ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النُّفَاقِ بِغُصُونِ الْأَنْصَارِ) ^(١).

والنَّصْوصُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جَدًّا لَا يَسْعُ المَقَامُ ذِكْرُهَا عَلَى أَنَّهُ يَحْسَنُ التَّبَيِّنَهُ هُنَّا عَلَى مَا يَتَرَبَّ عَلَى مَوَالَةِ الصَّحَابَةِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنَ الْأَثَارِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا يَشَحِّذُهُمُ الْهَمْمُ عَلَى تَحْقِيقِ مَوَالِهِمْ.

فَمِنْ آثَارِ مَوَالِهِمُ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحُ وَالْغَلْبَةُ وَالنَّصْرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ تَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَلَيْبُونَ﴾ (الْمَائِدَةَ: ٥٦). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: (كُلُّ مَنْ رَضِيَ بِوَلَايَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمُنْصُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

وَمِنْ ثَمَارِ مَحْبَّتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مَا يُرْجَى لِمُحْبَّبِهِمْ مِّنَ الْخَشْرِ مَعْهُمْ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ ^{رض} قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ^{صلی الله علیه و آله و سلم} فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحِقْ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^{صلی الله علیه و آله و سلم}: (المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) ^(٢).

وَلَذَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ^{صلی الله علیه و آله و سلم} يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ اللَّهِ بِمَحْبَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَيَعْدُونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِهِمْ وَأَرْجَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ. رَوَى الْإِمَامُ الْبَخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ^{رض} أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيِّ ^{صلی الله علیه و آله و سلم} عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَنِ السَّاعَةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ^{صلی الله علیه و آله و سلم}: (وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا). قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ^{صلی الله علیه و آله و سلم}: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتْ)، فَقَالَ أَنَسٌ: فَمَا

(١) صحيح البخاري برقم (١٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (٦١٦٨).

فرحنا بشيء فرحا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت. قال أنس: (فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٨).

المبحث الثاني

وجوب اعتقاد فضالهم وعدالتهم

والكاف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية

فضلهم :

لقد أثني الله تعالى على الصحابة ورضي عنهم ووعدهم الحسنى. كما قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُسِنُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَاعَدَ اللَّهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ حَذَّلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التبوة: ١٠٠). وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨). وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَفَقَّعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضُونَا وَنَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِدُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَإِلَيْمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِيُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا حَوْنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِإِيمَنْ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَلًا لِلَّذِينَ أَمْنَوْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (المحشر: ٨-١٠).

فقد دلت الآيات الكريمة على فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكل من حصل على شرف الصحبة. ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالى لا يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا. في قوله غلاً للذين آمنوا.

كما تضمنت الآيات وغيرها مما لا يمكن حصره من الترضي عنهم

وبشارقهم بالجنة وحصو لهم على الفوز العظيم ومدحـهم وذكر بعض صفاتـهم من الحب والإيثار والكرم والجود وحب إخواهم المسلمين ونصرـهم لـدين الله ونحو ذلك من الأوصاف العظيمة والذكر الجميل ما هم أهل له.

وقد أثـنـى عليهم رسول الله ﷺ بأحادـيثـ كثـيرـةـ منها ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضـيـهـ أنـ النبيـ ﷺ قالـ: (لا يدخلـ النارـ أحدـ بـاـيـعـ تـحـتـ الشـجـرـةـ) ^(١). وقد جاءـتـ أحـادـيثـ بـعـضـهاـ عـامـةـ فيـ فـضـلـ جـمـيعـ الصـحـابـةـ وبـعـضـهاـ فيـ فـضـلـ أـهـلـ بـدـرـ،ـ وبـعـضـهاـ فيـ أـفـرـادـ بـخـصـوصـهـمـ.

فالواجبـ علىـ الـمـسـلـمـينـ تـطـبـيقـ هـذـهـ النـصـوصـ وـتـولـيـ الصـحـابـةـ جـمـيعـاـ،ـ وـمـحـبـتـهـمـ وـالـتـرـضـيـعـنـهـمـ،ـ وـذـكـرـهـمـ بـكـلـ جـمـيلـ،ـ وـالـاقـتـداءـ بـهـمـ وـالـسـيـرـ عـلـىـ مـنـهـجـهـمـ.

وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم :

عرفـناـ أـصـحـابـ رسولـ اللهـ ﷺ هـمـ الصـفـوةـ المـخـتـارـةـ منـ هـذـهـ الـأـمـةـ بـعـدـ نـبـيـاـ،ـ فـهـمـ السـابـقـونـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ وـهـمـ أـعـلـامـ الـهـدـىـ وـمـصـابـحـ الدـجـىـ،ـ وـهـمـ الـذـيـنـ جـاهـدـواـ فـيـ اللـهـ حـقـ جـهـادـهـ وـأـبـلـواـ بـلـاءـ حـسـنـاـ فـيـ الـزـنـودـ عـنـ حـيـاضـ إـلـاسـلـامـ حـتـىـ مـكـنـ اللـهـ لـهـذـاـ دـيـنـ فـيـ الـأـرـضـ عـلـىـ أـيـديـهـمـ.ـ فـمـنـ تـنـقـصـهـمـ أـوـ سـبـهـمـ أـوـ نـالـ مـنـ أـحـدـ مـنـهـمـ فـهـوـ مـنـ شـرـ الـخـلـيقـةـ،ـ لـأـنـ عـمـلـهـ هـذـاـ اـعـتـدـاءـ عـلـىـ الـدـيـنـ كـلـهـ.ـ وـمـنـ كـفـرـهـمـ أـوـ اـعـتـقـدـ رـدـهـمـ فـهـوـ أـوـلـىـ بـالـكـفـرـ وـالـرـدـةـ وـإـنـهـ مـهـمـ عـمـلـ أـحـدـ بـعـدـهـمـ مـنـ عـمـلـ فـإـنـهـ لـنـ يـلـغـ شـيـئـاـ مـنـ فـضـلـهـمـ.ـ فـقـدـ ثـبـتـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ عـنـ أـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ رـضـيـهـ قـالـ:ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ:ـ (لا تـسـبـواـ أـحـدـاـ مـنـ أـصـحـابـيـ،ـ فـإـنـ أـحـدـكـمـ لـوـ أـنـفـقـ مـثـلـ أـحـدـ ذـهـبـاـ مـاـ

(١) صحيح مسلم حديث برقم (٢٤٩٦).

أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه^(١). فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل. فالواجب على المسلمين اعتقاد عدالتهم والترضي عنهم والكف عن شجر بينهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم من خلاف وترك سرائرهم إلى الله تعالى. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فلنطهر ألسنتنا من أعراضهم).

وخلاصة القول أن أهل السنة يوالون الصحابة كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب. فإن ذلك كله من البغي الذي هو بجاوزة الحد.

(١) صحيح البخاري حديث برقم (٣٦٧٣) ومسلم كتاب الفضائل حديث رقم (٢٥٤١، ٢٥٤٠).

المبحث الثالث

أهل بيت النبي ﷺ

التعريف بأهل البيت :

أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة. وهم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ.

أدلة فضل أهل البيت :

قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا» (الأحزاب: ٣٣).

وقال ﷺ: (أذْكُر كم الله في أهل بيتي) ^(١).

دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت :

قال تعالى: «يَنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَقْتَيْتُنَّ فَلَا تَخْضُنَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ، مَرْضٌ وَقُلْنَانٌ فَوْلَانٌ مَعْرُوفًا * وَقَرْنَانٌ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبْرَحْ بَرْجَ الجَهَلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الْصَّلَوَةَ وَأَتَيْنَ الرَّكْوَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا * وَأَذْكُرْنَ مَا يُسْتَلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا» (الأحزاب: ٣٢-٣٤). قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داولات في قوله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا»).

(١) صحيح مسلم حديث برقم (٢٤٠٨).

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُشَاءُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ أَيَّتِ اللَّهُ وَالْحِكْمَةِ﴾، أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة. قال قتادة وغير واحد: (واذكرن هذه النعمة التي خصصن بها من بين النساء) ^(١).

الوصية بأهل البيت :

تقدّم حديث (أذْكُرْكُمُ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي). فأهل السنة يحبونهم ويكرموهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه وذلك بشرط أن يكونوا متبوعين للسنة مستقيمين على الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه. أما من حالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون من خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإنّ كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا ينفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنِّيْرَ عَسِيرَتَكَ الْأَقْرَبَيْنَ﴾ (الشعراء: ٢١٤). فقال: (يا معاشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدمناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا صافية عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً) ^(٢). ول الحديث: (من بطا

(١) تفسير ابن كثير / ٦ / ٤١١.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١). ومسلم برقم (٤٠٤).

به عمله لم يسرع به نسبه^(١). معنى من بطاً: أي من تأخر.
ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون
لهم العصمة. ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون
فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذين يتولون بأهل البيت
ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعقول والصراط المستقيم
الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩).

المبحث الرابع

الخلفاء الراشدون

التعريف بالخلفاء الراشدين :

الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو التورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

مكانتهم ووجوب اتباعهم :

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول ﷺ باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية عليهما السلام الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: (أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ثم سكروا بها وعضووا عليها بالنواخذة، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله) ^(١).

فضلهم :

أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقد ورد في فضل كل

(١) رواه أحمد (٤/١٢٩-١٢٧)، والترمذى (٧/٤٣٨) بسند صحيح.

واحد منهم أحاديث كثيرة نور دحبياً واحداً منها لكل واحد منهم: فمما جاء في فضل أبي بكر رض ما ثبت في الصحيحين أن النبي ص قال على منبره: (لو كنت متخدناً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أباً بكر خليلاً لا يقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر) ^(١). وما جاء في فضل عمر رض ما ثبت في الصحيحين أن النبي ص كان يقول: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر ابن الخطاب منهم) ^(٢). ومعنى محدثون: مُلهمون.

ومما جاء في فضل عثمان رض، حديث عائشة الطويل الذي قالت فيه: (دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رأه الرسول جلس وسوى ثيابه فسألته عائشة فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) ^(٣).

ومما جاء في فضل علي رض ما رواه الشیخان عن سهل بن سعد رض أن النبي ص قال عشيّة خير: (لأعطيكما الرأي غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ... فقال: ادعوا لي علياً ... فدفع الرأي إليه ففتح الله عليه) ^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٥٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩). ومسلم برقم (٢٣٩٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٢). ومسلم برقم (٢٤٠٥).

المبحث الخامس العشرة المبشرون بالجنة

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأهمهم جميعاً عدول، وأهمهم يتفضلون في الصحابة. وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلاً وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة ومنهم من جاء فيه حديث بخصوصه. ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأنس رضي الله عنه عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أني سمعته وهو يقول: (عشرة في الجنة، النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة)، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو؟ فسكت قال: فقالوا: من هو؟ فقال: (هو سعيد بن زيد رضي الله عنه)^(١).

وقد بشر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبدالله بن

(١) رواه أحمد (١٨٨/١)، وأصحاب السنن بسند صحيح.

مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محسن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير. وأهل السنة والجماعة ينصون على من ورد النص من العصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ﷺ له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعده الله لهم جميعاً بالجنة كما قال تعالى بعد ذكر الصحابة وبيان فضل بعضهم على بعض ﴿ وَكُلُّاً وَعْدَ اللَّهِ الْحَسْنَى ﴾ (النساء: ٩٥). والحسنى هي الجنة. كما أن مذهب أهل السنة في عموم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجون للمحسنين الثواب ويخافون على المسيئين العقاب مع القطع لمن مات على التوحيد بعد تخليله في النار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء: ١١٦).

الفصل الرابع :

الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم

ولزوم جماعتهم

روى مسلم عن أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: من يا رسول الله؟ قال: الله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم^(١)).

فالنصيحة لله : إفراده تعالى بالعبادة وتعظيمه وخوفه ورجاؤه ومحبته وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله ﷺ، تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بكتابه ومحبته، وألا نعبد الله إلا وفق ما جاء به ﷺ.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتهم وطاعتهم في حدود طاعة الله تعالى.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونفيهم عن المنكر، وحب الخير لهم كما نحب لأنفسنا وبذل الخير لهم ومساعدتهم بقدر ما نستطيع.

(١) صحيح مسلم برقم (٥٥).

الواجب نحو ولادة الأمور :

لقد دل الكتاب والسنّة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لخلوق في معصية الخالق. كما تجحب الصلاة خلفه، والحج واجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المصالح الخاصة. كما تجحب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعاته وعدم الخروج عليه.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولادة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة).

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنّة، فمن الكتاب قوله تعالى:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ أَمْرٌ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

ومن السنّة حديث أبي هريرة رض عن النبي صل أنه قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني) ^(١). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صل: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٣٧).

يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة^(١).

والسنة أن تُبذل النصيحة للإمام سرًّا بعيدًا عن الإثارة والتهويل يدل لذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن عياض بن غنم رض قال: قال رسول الله صل: (من أراد أن ينصح لذى سلطان فلا يده علانية، وليأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا أدى الذي عليه)^(٢).

هذه النصوص من القرآن والسنة كلها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمور

في غير معصية الله تعالى. ويمكن أن نستخلص منها ما يأتي :

١- أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.

٢- عدم الخروج على ولادة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

٣- أن من نصح لولادة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ من الذنب.

٤- النهي عن إثارة الفتنة وأسباب إثارتها.

٥- عدم الخروج على الولادة ما لم يظهر منهم الكفر البواح أي الظاهر الذي لا يتحمل التأويل.

٦- وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسرون على هدى الكتاب والسنة قولًا وعملاً واعتقادًا وموالاتهم واتباع سبيلهم والحرص على جمع كلمتهم على الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم. كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٤٤).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٠٧) بسنده صحيح.

سَيِّلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولِهِ، مَاتَوْلَى وَنُصْلِهِ، جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿النساء: ١١٥﴾). وقال رسول الله ﷺ : (عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار)^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (من رأى من أعيشه شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شيئاً فمات فميتته جاهلية)^(٢).

فدللت هذه النصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعة الأمر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك. إذ أن الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

(١) الترمذى برقم (٢١٦٧)، السنة لابن أبي عاصم برقم (٨٠).

(٢) صحيح البخارى برقم (٧١٤٣).

**الفصل الخامس:
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنّة
وأدلة وجوبه
وفيه ثلاثة مباحث**

- المبحث الأول : معنى الاعتصام بالكتاب والسنّة وأدلة وجوبه.
- المبحث الثاني : التحذير من البدع.
- المبحث الثالث : ذم التفرق والاختلاف.

المبحث الأول

معنى الاعتصام بالكتاب والسنّة وأدلة وجوبه

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع والتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنّة، وهي عن التفرق وبين خطورته على الأمة في الدارين. ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكم إلى كتاب الله تعالى في الأصول والفروع وهيئنا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق. فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله

فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَاعْصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوْا وَإِذْ كُرُوا يُغْمَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالَّذِي بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاعَ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْفَذْتُكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيَّتِيهِ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ ﴾ (آل عمران: ۱۰۳).

فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنّة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة وهي عن التفرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولِي حَذِيرَةٌ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ۷). وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة. وأن ما جاء به الرسول يتبعه العباد الأخذ به واتباعه ولا تحمل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحد ولا

عذر له في تركه، ولا يجوز تقدم قول أحد على قوله. قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا مَنَّوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّوْا عَنْهُ وَإِنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (الأفال: ٢٠).

فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، وزجرهم عن مخالفته والتتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قال : ﴿ وَلَا تَوَلُّوْا عَنْهُ﴾ أي تركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا مَنَّوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُمْ فَإِنَّ نَزَّلْنَا عَنْهُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩).

قال الحافظ ابن كثير : (أطابعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطابعوا الرسول أي حذروا سنته، وأولي الأمر منكم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لخلوق في معصية الله). قوله ﴿فَإِنَّ نَزَّلْنَا عَنْهُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ . قال مجاهد : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَخْلَقْنَاهُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ١٠). مما حكم به الكتاب والسنة وشهادا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولهذا قال تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ، أي ردوا الفصل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة ومن لا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا اليوم الآخر. قوله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ، أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ، أي وأحسن عاقبة ومآلًا كما قال السدي وقال مجاهد : (وأحسن

جزاء وهو قريب^(١). وفي كتاب الله آيات كثيرة وردت في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنّة والرجوع إليهما في كل الأمور.

وأما الأدلة من السنّة على وجوب التمسك بالكتاب والسنّة فمنها ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثة ويُسخط لكم ثلاثة)، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جمِعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويُسخط لكم ثلاثة، قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٢). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنّتي)^(٣). وقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعد إلا هالك)^(٤). وجاء في حديث العرباض بن سارية قوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد)^(٥).

وقد بشر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه المتسكين بسته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي). قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٤/٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧١٥).

(٣) رواه مالك في الموطأ (٨٩٩/٢).

(٤) سنن ابن ماجه (١٦/١) المقدمة. وصحّح ابن ماجه للألباني (٦/١).

(٥) سنن أبي داود (١٣/٥) والترمذى مع تحفة الأحوذى (٤٣٨/٧).

أبي^(١). وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفته أمره ؟ وذلك
بالإحداث والابتداع في الدين.

وعلومنا أن الفرقة الناجية هي التي كانت على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهي الجماعة. قال أبي بن كعب رضي الله عنه: (عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبداً وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٠).

المبحث الثاني التخيير من البدع

تعريف البدعة :

البدعة لغة : هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي مخترعهما. وشرعًا : ما خالف الكتاب والسنّة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

خطر البدع :

إن البدع والحداثات في الدين لها خطورة عظيمة، وأثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه. فالبدع: إحداث في الدين، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعة سبب في عدم قبول العمل وتفرق الأمة، والمتبع يحمل وزره ووزر من تبعه في بدعته، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ. فعن سهل بن سعد الأنباري، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أنا فرطكم على الحوض من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لا يظمه أبداً). ليردّن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم من أمي، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعده. فأقول: سحقاً لمن غير بعدي^(١). والفرط: الذي يسبق إلى الماء. وسحقاً: أي بعدها.

والبدعة تشويه للدين، وتفجير لمعالمه. والخلاصة أن البدعة خطر عظيم على المسلمين في أمر دينهم ودنياهם.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣) ورقم (٦٥٨٤). وصحیح مسلم برقم (٢٢٩٠).

أسباب البدعة :

للبدع أسباب كثيرة أعظمها بعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلى الجهل بمصادر التشريع. ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد على العقل المجرد وجلساء السوء، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة والم موضوعة التي يستدل بها المبتدة على بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة.

خطر البدع :

من تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة على أصحابها من غير فرق بين بدعة وأخرى، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد في قول النبي ﷺ: (إياكم ومحذثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)^(١). وقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٢). فدل الحديث على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها، وتقدم الذبائح والنور لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصلوة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسوق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع، والأذكار المبتدة والتبلل والصيام قائما في الشمس.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٣٥/١)، والدارمي في السنن (٧٨/١)، والحاكم في المستدرك (٣١٨/٢) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧). وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

المبحث الثالث

ذم التفرق والاختلاف

الأدلة على ذم التفرق :

لقد ذم الله التفرق ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه. وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة التي تحذر من التفرق والاختلاف وتبيّن سوء عاقبته وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسُواد الوجوه في الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَسَوْدٌ وُجُوهٌ فَآمَّا الَّذِينَ آسَوْدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَآمَّا الَّذِينَ آتَيْتُمْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٥ - ١٠٧).

قال ابن عباس: (تبیض وجّوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا يُشَيَّعُونَ لَتَمَنُّهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى أَنَّ اللَّهَ يُعِظِّمَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فقد دلت الآيات على ذم التفرق وخطورته على الأمة في الدنيا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وسبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختلاف والتحث على الجماعة والائتلاف فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فيماينا فقال: (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة. وإن هذه الأمة ستتفرق على ثلات وسبعين ملة اثنستان وسبعون في النار وواحدة في الجنة

وهي الجماعة^(١). فقد أخبر النبي ﷺ بافتراك أمتة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ، إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا ثم يؤول إلى الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط. وعلى كل حال فإن الفرقه والاختلاف لابد من وقوعهما في الأمة والرسول ﷺ يحذر أنته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة :

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لاسيما الاختلاف في الكتاب المنزّل عليهم. قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: (أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم)، لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله ﷺ. فأفاد ذلك شيئاً: أحدهما : تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والخذر من مشابهتهم. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ احْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦). وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَعْلَمُ بَعْيَانَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٩).

ومن السنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ذروني ما تركتم من إلئاه هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واحتلافهم على أنبيائهم

(١) رواه أحمد (٤/١٥٢). وأبو داود (٥/٥) وغيرهما بسنده صحيح.

فإذا هم نهيتكم عن شيء فاجتنبواه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) ^(١).
فقد أمرهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً
بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرسل
بالمعصية أي بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

هل الاختلاف رحمة :

يدعى بعض الناس أن الاختلاف رحمة اعتماداً على حديث موضوع:
(اختلاف أمني رحمة). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل. وقد
ذكرنا بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذم الاختلاف والتفريق. وفي
ذلك كفاية لمن تدبر وتأمل.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ (هود: ١١٩، ١١٨).
والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوى باطل ولا يصح بحال،
ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعوى،
يضاف إلى ذلك مخالفته للعقل، فإنه لا يتصور عاقل أن الاختلاف رحمة،
بعدما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بل
وربما القتال والمحروب التي كثيراً ما ثارت بين الناس بسبب الاختلاف،
حتى في بعض مسائل الفروع.

طريق الخلاص من الفرقـة والاختلاف :

ومن المعلوم أن الفرقـة الناجحة والطائفة المنصورة هي الجماعة. والجماعة

(١) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨). صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ﷺ وأصحابه لا يعلدون عن ذلك ولا يحيدون عنه يميناً أو شمالاً.

قال الشاطئ رحمه الله في الاعتصام: (إن الجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان). فطريق الخلاص هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة قوله تعالى: «وَمَن يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُؤْلَمَ مَاتَوْلَىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٥).

وقال تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنِيَعُوا السُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنْقُونَ» (آل عمران: ١٥٣). وفي السنة ما رواه الترمذى وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: (لا تجتمع أمي على ضلاله - أو قال: أمة محمد على ضلاله - ويد الله على الجماعة) ^(١).

وبهذا نختتم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتاب الله تعالى، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصادران الوحيدان لعقيدة الإسلام وشرعيته. فرأى منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج حاسر، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاه رب العالمين، والحسن الحسين، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبدعين وانتهال المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالبين. وهو الطريق الذي صلحت به أحوال

(١) رواه الترمذى (٤٦٦/٤)، وغيره بسنده صحيح.

الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه. يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوها)، وما صلح به أوها هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتاب والسنة مقيداً بفهم السلف الصالح ومنهجهم لقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلَّهُ مَا تَوَلَّ وَنُصَلِّهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء ١١٥)

فاتباع سبيل المؤمنين وهو الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهدية بإحسان هو سبيل النجاة نسأل الله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ واتباع سبيل المؤمنين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس موضوعات الكتاب

١	مقدمة معالي الوزير
٣	المقدمة.....
٧	تمهيد.....
٩	الباب الأول: الإيمان بالله
١١	الفصل الأول: توحيد الربوبية وفيه مباحث
١١	المبحث الأول: معناه وأدلة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.....
١٥	المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.....
١٩	المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية.....
٢١	الفصل الثاني: توحيد الألوهية وفيه مباحث
٢٣	المبحث الأول: أدلة، وبيان أهميتها
٢٩	المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطلب
٣٥	المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد
٥٧	المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما وفيه مطالب
٥٨	المطلب الأول: الشرك:
٦١	الشرك الأكبر، تعريفه وحكمه وبيان أنواعه
٦٣	الشرك الأصغر، تعريفه وحكمه وبيان أنواعه
٦٤	الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر.....
٦٥	المطلب الثاني: الكفر.....

٦٥	تعريفه.....
٦٥	أنواعه.....
٦٥	الكفر الأكبر وبيان أنواعه.....
٦٧	الكفر الأصغر وأمثلته.....
٦٩	المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به.....
الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:..... ٧٥	
٧٦	التمهيد: الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك في سلوك المسلم.....
٧٧	المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلةه ٧٧
٨٣	المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات.....
٩١	المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات.....
٩٧	الباب الثاني: بقية أركان الإيمان، وفيه خمسة فصول:.....
الفصل الأول: الإيمان بالملائكة، ويشتمل على ثلاثة مباحث:..... ٩٧	
٩٩	المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقهم، وصفاتهم، وخصائصهم.....
١٠٥	المبحث الثاني: منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك
١١٣	المبحث الثالث: وظائف الملائكة
الفصل الثاني: الإيمان بالكتب المنزلة، وفيه تمهيد وأربعة مباحث:..... ١٢١	
١٢٣	تمهيد: في تعريف الوحي لغة وشرعاً وبيان أنواعه.....
١٢٧	المبحث الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلةه
١٣١	المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالكتب
١٣٩	المبحث الثالث: بيان أن التوراة والإنجيل وغيرهما دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك
١٤٣	المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن وخصائصه
الفصل الثالث: الإيمان بالرسل، ويحتوي على أحد عشر مبحثاً :..... ١٥١	
١٥٣	المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلةه
١٥٧	المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

١٥٩	المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسول
١٦٣	المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسول
١٦٧	المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل
١٦٩	المبحث السادس: خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته
١٨٣	المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده
١٨٧	المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدنته
١٩٣	المبحث التاسع: القول في حياة الأنبياء عليهم السلام
١٩٩	المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء
٢٠٥	المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام
٢٠٩	الفصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر
٢١١	المبحث الأول: أشرطة الساعة وأنواعها
٢٢١	المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه
٢٢٧	المبحث الثالث: الإيمان بالبعث
٢٤١	الفصل الخامس : الإيمان بالقضاء والقدر، ويشتمل على مباحثين :
٢٤٣	المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر
٢٤٧	المبحث الثاني: مراتب القدر
٢٥١	الباب الثالث: مسائل متفرقة في المقدمة، ويتضمن خمسة فصول : ..
٢٥٣	الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان.....
٢٥٥	المبحث الأول : الإسلام
٢٥٧	المبحث الثاني : الإيمان وأركانه وبيان حكم مرتکب الكبيرة
٢٦١	المبحث الثالث : الإحسان
٢٦٣	المبحث الرابع: العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان
٢٦٥	الفصل الثاني: الولاء والبراء : معناه وضوابطه

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يحب نحومهم، وفيه مباحث ٢٦٩	
المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم ٢٧١	
المبحث الثاني: وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية ٢٧٥	
المبحث الثالث: أهل بيت النبي ﷺ ٢٧٩	
المبحث الرابع: الخلفاء الراشدون ٢٨٣	
المبحث الخامس: العشرة المبشرون بالجنة ٢٨٥	
 الفصل الرابع : الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم ٢٨٧	
 الفصل الخامس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه، وفيه مباحث ٢٩١	
المبحث الأول: معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه ٢٩٣	
المبحث الثاني: التحذير من البدع ٢٩٧	
المبحث الثالث: ذم التفرق والاختلاف ٢٩٩	
 فهرس موضوعات الكتاب ٣٠٥	

إِنَّ وَزَارَةَ الشُّرُورِ زَلْكَامِيَّةٌ وَالْأَوْقَافُ لَكَعْوَةٌ وَالإِرشَادُ

فِي الْمَلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

الْمُشَفَّةُ عَلَى مُجَمَّعِ الْمَلَكَةِ فَهُدٍ

لِطَبَاعَةِ الْمُصَحَّفِ الشَّرِيفِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

إِذَا سُرُّهَا أَنْ يُصَدِّرَ الْمُجَمَّعُ الظَّبْعَةَ الْأُولَى

لِكِتَابِ أُصُولِ الْإِيمَانِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ

سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ عُمُومُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَحْزِنَ

خَادِمُ الْجَمَاهِيرِ الشَّرِيفِينَ الْمَلِكَ فَهْدَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ الْسُّعُودَ

أَحْسَنَ الْجَزَاءَ عَلَى جُهُودِهِ الْعَظِيمَةِ فِي نَشْرِ كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ

وَشَرْكِتِ الْعِلْمِ الَّتِي تَفْعُلُ الْمُسْلِمِينَ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُرَاسَاتِهِمْ

وَاللَّهُ وَلِيُ التَّوْفِيقِ
